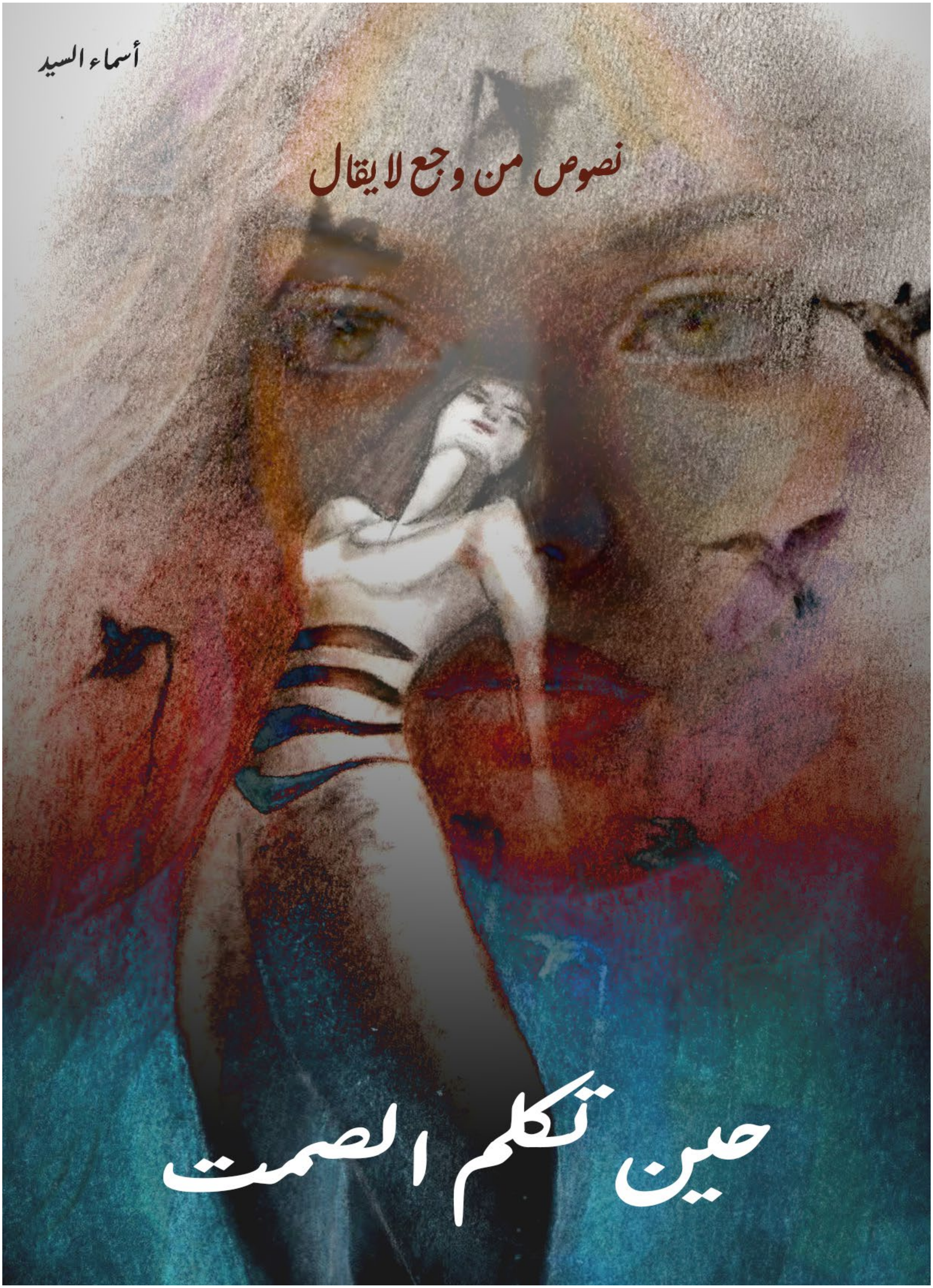


أسماء السيد

نصوص من وجع لا يقال

حين تكلم الصمت

اهداء

إلى من علّمني أن الصمتَ أحيانًا أصدقُ من الكلام،

ومن مرَّ كنسمةٍ وترك في القلبِ أثرًا لا يُمحى...

أهديك بدايه لا أعلم متى و كيف نشأت....

فكلّما هممتُ بالكتابة عنك، ارتجفت يدي وتلعثمت الحروف،

كأنّ الكلمات تخشى أن تقترب من روحك،

أو تخاف أن تُخطئ، فتُفصح عن الحقيقة التي أخفيها منذ زمن.

مرَّ الوقت ...لكن شيئًا منك لم يمرّ.

ما زلتَ مقيمًا في التفاصيل الصغيرة التي تحيك يومي:

في رائحة القهوة، في لحن أغنيةٍ قديمةٍ،

في الضوء المتسلّل وقت الغروب وهو يهمسُ باسمك للحنين.

أنت الوحيد الذي لم يُغادرني رغم الغياب،

صوتك يسكن صمتي، وملامحك تُضيء ظلام أيامي.

حتى الألم صار أنيقًا، مذ تعلّم ملامحك.

ربّما أقسمت الحياة أن تختبرني بك،

فأعطتني عشقًا لا يُشفى، وبُعدًا لا يُفهم،

لكنّ قلبي — رغم الوجع — لا يزال يبتسم حين يذكرك.

أحنّ إليك كما يحنّ الليل إلى نجومه،

كما تشتاق الأرض لأولّ مطر بعد عطشها الطويل.

أشتاقك بلا منطق، بلا زمن، بلا حدود.

كأنّ قلبي خُلق ليكون وطنًا لحضورك،

ولا يعرف سواك عنوانًا للسكينة.

أهديك كل حرف و شعور.

مقدمة

كان الصمتُ يومًا سؤالًا يعلّق روحي بين القول والكتمان،

علّمني أن ما يُسكَت عنه أحيانًا أعمق مما يُقال.

أن الكلمة ليست دائمًا خلاصًا، وأن الهدوء أحيانًا يصرخ بألف معنى.

بل قد تكون سجنًا للحقيقة التي لا تحتمل البوح.

في زمنٍ تتعالى فيه الأصوات وتضيع المعاني،

أردت أن أكتب بالصمت،

أن أقول ما لا يُقال،

وأن أستعيد في الحروف سكونًا يشبه الدعاء.

(حين تكلّم الصمت) ليست مجموعة حكايات،

بل رحلة داخلية تبحث عن المعنى بين الفقد والسكينة،

بين الحنين والوعي،

حيث تصبح اللغة مرآةً للروح،

والصمت وطنًا لمن أرهقهم القول.

فهرس المحتويات

الفصل الأول : صمتُ البداية

في البدءِ كان الصمتُ، وكان القلبُ يتعلّم اللغةَ بنبضه.

و كنتُ أظنُّ أن الكلامَ ينجيني.

ثم تعلّمتُ أن في المسافةِ بين ما أقولُ وما أعني،

تفتّتت حروفٌ كثيرةٌ وتشكلت أنا جديدة.

و ان كلُّ ما لم أقله كان ينمو سرًا في داخلي

كحديقةٍ تُسقى بندمٍ قديمٍ ورجاءٍ لا يخفت.

كان الليلُ يضعُ كفَّه على فمي،

لا ليخرسني، بل ليصغي إلى نبضي.

حينها فهمتُ أن الصمتَ ليس غيابًا،

بل حضورٌ لا يطلب إذنًا ليدخل.

وأن ما نكتمهُ من أجل أنفسنا، أشدُّ رحمةً مما نقوله

كي نفوزَ بقلوبٍ لا تساعدنا على البقاء.

إختبار لا إختيار

لم يكن الأمر قرارًا،

بل نبوءةٌ قديمةٌ تشبه ما يُكتب في لوح القدر،

تتسلل إلينا كما تتسلل الأنفاس إلى الصدر،

فنصبح أسرى شيءٍ لا نعرف متى بدأ،

ولا نملك نهايةً له.

هل أسأل الحياة لماذا منحتني النبض؟

أو أسأل الوقت لماذا يمضي؟

إنها المسافة بين الوعي والمكتوب،

حيث لا نختار، بل نُختار...

وحين نُختار، نصير تمامًا كما كُتب لنا أن نكون.

ماذا لو ؟

التقينا قبلَ الوجودِ

ماذا لو أنّ الإثم يُقاس بالحبّ لا بالفعل،

و أنّ المدينة تُدرك أنّ العناق صلاةٌ أخرى،

وأنّ القُبلةَ ليست خطيئةً بل شفاء،

لضممتُك كما يضمّ الغيمُ مطرهُ حين يضيقُ بهِ المساء.

لو أنّ الثالثة فجرًا وقتٌ للسكينة لا للريبة،
لسرتُ معك تحت الضوء الخافت،
نحملُ تعبَ اليومِ ونسلّمهُ للنجوم.

لو أنّ وضع رأسي على كتفك
لا يُغضبُ أحدا أو عُرفًا أو ظلّ حائطٍ يرقبنا،
لكان السلام في هذه الحياة ببساطةٍ ...أنت.

ولو أنّ للإنسان أن يكتب قدره مرّةً واحدة،
بلا خوفٍ ولا حسابٍ ولا قيود،
لجعلتُ ملامحكَ مكاني،
وجهتكَ القبلة،
وخطوطَ كفّك خريطةَ عمري.

فأنت، في كل احتمالٍ،
وجهتي التي لن اخطئها!

صدفة من القدر

كانَ اللقاءُ مصادفةً ...تُشبهُ القدرْ،
وفي الفقدِ شيءٌ ...من الغيابِ الذي لا ينتهي ولا يُعَدْ.

لم أعدْ أكتبُ كما كنتُ،
ولا أضحكُ كما كنتُ،
ولا أراكَ كما كنتَ في مَدى القلبِ واليدْ.

كنتُ أظنُّ أنَّ النهاياتِ رحيمةٌ،
لكنني أدركتُ — حين غِبتَ—
أنَّ بعضَها يُنبتُ في القلبِ غابةَ أسئلةٍ لا تَجِفْ،
ووجعًا ...لا ينامُ وإن هدأَ النزفْ.

فكيفَ تُشفى الأرواحُ من حنينٍ
عادَ من بعدِكَ ...وليسَ لهُ صَوتْ؟

لما وجدتك

بيني وبينك ..حُبٌّ عجيب
لا يُشبه ما كُتِب في الحكايات،
مجنونٌ، لا يرضى بقيودٍ
ولا يوقِّعُ هدنةً مع المسافات.

لم أخترهُ، واللهِ لم أخترهُ،
هو الذي تسلَّلَ إلى روحي خِفيةً،
ورسم اسمهُ بينَ أنفاسي

كما يُوشَمُ الحنينُ على الذكريات.

كُلُّ شيءٍ بدأَ صدفةً،

كلمةٌ عابرةٌ ..نظرةٌ ..ثمّ ارتباكٌ لطيف،

فرماني القدرُ في مدارك،

وأصبحتُ أدورُ حولكَ كقمرٍ أسيرِ العشقِ والعطيف.

ابتليتُ بكَ ..يا أجملَ الآلام

و فوضى قلبي وسلامه،

كيف جعلت من الوجعِ ورداً

ومن الغيابِ انتظاراً لا ينتهي؟ !

و كيفَ أنجو منكَ؟

وحبُّكَ باتَ مذهبي،

وسكناكَ بينَ أضلعي

و صرَت أصدقَ من النبضِ في قلبي

قرين الروح

تشبهني بطريقةٍ مخيفة،

حتى أنني حين أتأمّل نفسي في المرآة

أراك في التفاصيل الصغيرة التي لا يراها أحد.

كأنّ أرواحنا وُلدت في اللحظة ذاتها،

ثم افترقت لتتعلم كيف تشتاق.

أراك في حزني وبهجتي،

وفي ارتباكي حين يمرّ طيفك بي،

كأنك النصف الذي لم يكتمل

كأنك مني و معي و داخلي.

لروحي شبيه

قد يَجّيءُ الذي للرُّوحِ يُشبِهُها

لكنَّهُ حينَ يَأتي لا نُلاقاهُ

كالطِّيبِ يُغري، ولكنْ في تَنَفُّسِهِ

يَفيضُ وجعًا، ويُطفئُ منهُ رِيَّاهُ

هوَ المُناسِبُ لا يُخطِئْكَ مندفعًا

ولا يُضيِّعُكَ الإخلاصُ لولاهُ

إنْ غابَ عادَ، وفي عينيهِ مُدَّكَرٌ

أقوى، وأصدقُ، والإيمانُ يَغشاهُ

عرفتُّهُ حينَ نامَ الخوفُ مُنكسِرًا

وسلَّمَ القلبُ أبوابًا ومِفتاحا

هوَ الذي إنْ تهاوَى الدمعُ أشرقتِ الـ

كفّانِ صبحًا، وأحيا الحُزنَ بَسماهُ

قد يَجيءُ القَدَرُ المحتومُ مُختبِرًا

صبرَ القلوبِ، ويستدعي خفاياهُ

فالوقتُ لا يُعرَفُ الحُبُّ الحقيقيُّ بهِ،

لكنَّهُ يُعرَفُ الأرواحُ إذْ تاهواالقضاء.

اطمأنت روحي بك

واطمأنَّت روحي بك..

كأنّها وجدت أخيرًا مأواها بعد تيهٍ طويل،

كأنّني حين نظرت إليك، تذكّرت شيئًا منّي كنت قد نسيته.

واطمأنَّت روحي بك..

لأنك لم تسألني من أكون، لكنك عرفتني..

وعبرت إلى داخلي بهدوء، كما لو كنت تعرف الطريق من قبل.

واطمأنَّت روحي بك..

لأنك أحببت ما لم يظهر لأحد،

ورأيتني حين كنتُ أُخفي كلّ شيء.

واطمأنَّت روحي بك..

لأنني معك لا أحتاج أن أكون قويَّة دائمًا،

ولا مضطرة لأن أُخفي ظلي حين يغلبني الضوء.

واطمأنَّت روحي بك..

لأن حضورك ليس عاديًّا،

لأنك تشغل مكانًا في قلبي لا يشبه سواه،

كأنك كُنتَ لي، قبل أن أعرفك.

واطمأنَّت روحي بك..

لأنك لست فقط مني...

أنت أنا، حين أهدأ، وحين أضيع، وحين أعود.

كيف أخبرك

كيف أخبرك؟

كيف أخبرك أنك تسكنني

في عمق الروح ...بلا صوت؟

رغم صمت الحروف،

وانكسار النبض،

وازدحام الحياة التي أمست ببعدك كالموت.

كيف أخبرك أنك راسخ في قلبي،

رغم محاولات النسيان،

لا اذكر اني نسيت إحداها

رغم كل الهروب....

حاولت الفرار مراراً ...فعدت بسرعة الصوت

فكيف اخبرك

كم أشتاقك

وأنا أدّعي الصبر،

وأتظاهر بالقوة ...

اخفي ما أخفي و ارتدي الثلج لاخفي نارك

و اتظاهر مجددا بالقوة

قوة خالية منك و قوة لا تحتويها انت

ليست لي قوة!

كيف أخبرك أنك في قمة القائمة،

تلك الأماني .... فلتَحترق!

برغم ابتسامتي منها

فيك أذوق الموت،.

دعني أخبرك

في القائمة

أنت الخبر الأول،

والفكرة التي لا تنام،

و بداية الصباح

ونهاية الصمت،

و نهاية يومي

وكل أفكاري

و مصدر المي

و بلسمي التالي.

أما تستحي من احتلالي،بعد

وأنت بعيد؟

أما يكفيك ما أخذت؟

أرأيت ...كم قلبي متعب؟

أنا أعيش هنا،

لكن ببُعدك...

أخوض كل يوم شكلًا من أشكال الموت.

لحظات حياة

تمرُّ بي لحظاتٌ أبدو فيها كأنني أستطيعُ حملَ جبالِ الدنيا،

أقاومُ كلَّ وجعٍ بثباتٍ،

وأمضي وكأنَّ الفقدَ لا يعرفُ طريقًا إلى قلبي.

ثم تأتي لحظةٌ واحدةٌ خلال بعدك،

فتُسقِطني كما تفعلُ النسمةُ بورقةٍ أرهقها الخريف.

يا حبيبي،

لسنا دائمًا ننهارُ من الكبائر،

أحيانًا يكفي غيابُك الصغير،

نظرةٌ لم تصل، أو كلمةٌ لم تُقل،

كي ينهارَ ما تبقّى منّي.

فالروحُ منذُ رحيلك جاثيةٌ على ركبتيها،

مهما بدا الجسدُ للناسِ شامخًا، متماسكًا، صلبًا.

صدقني لو اخبرتك

إننا لا ننهارُ مرةً واحدة،

بل بالتراكم...

كما تنهارُ الشجرةُ من كثرةِ ما جُرِّبت عليها الفؤوس.

ضربةٌ، فصمتٌ، فخذلانٌ، فمسافةٌ أخرى من الغياب،

حتى تأتي الضربةُ الأخيرة

نظرةٌ منك انتظرتها و لم تلتفت،

أو نداءٌ اخذ صوتي و لا يُجاب

فتُسقِطُ ما أبقاهُ الحنينُ قائمًا.

كلُّ ما في الأمر يا حبيبي،

أنَّ ما ظننتهُ انهياري الآن

ليس سوى صدى الضرباتِ القديمة،

وأنَّ وجعي ليس منكَ وحدك،

بل من كلِّ مرَّةٍ

عدتَ فيها إلي ولم تَعُد كما كنت.

صمت الغياب

تمرّ بالإنسان لحظات لا يُجيد فيها سوى الصمت،

لحظات لا تشبه الفقد ولا اللقاء،

ولا يستطيع أن يصفها بالكلمات.

هي تلك الفواصل الغامضة بين الإدراك والحنين،

حين يصبح القلب ممتلئًا بما لا يُقال.

حين يسكنك غائب

كيف حالك يا من أخذك البعد عن عيني، وتركك في قلبي مقيمًا؟

أما زلت تذكرني حين يثقل الصمت على كاهلك؟

أما زال اسمي يمرُّ بخيالك كنسمةٍ عابرة، أم غادرت كأنني ما كنتُ يومًا؟

أسأل عنك من خلف ستار المسافة،

وأرسل إليك قلبي مع كل نسمة ليلٍ هادئة،

أتفقدك في غيابي كما يتفقد المساء قمره،

وأتساءل بصمتٍ موجع :هل يجيء وجهي في بالك، كما لا يغادر وجهك ذاكرتي؟

يا أنت ...أيها البعيد القريب،

أطمئن عليك من موطنٍ لا تطأه قدماك، لكنه مزدحم بك حتى الثمالة.

أكتبك بحبرٍ من لهفة،

وأرسمك في خرائط الوقت كأنك وطني حين تضيع الجهات.

واعلم...

أنك، رغم الغياب،

ورغم المسافات التي أنهكتنا،

ستبقى الأقرب إليّ من روحي ...من نبضي ...من حبل الوريد.

صمت الحنين

لم أُدرك متى بدأ الحنين يأخذ شكلك

ولا متى صار الضوءُ الذي يسكنني

يُشبه ملامحك...

كلّ ما أعلمه أنني مذ عرفتك،

بدأتُ أتجاوز نفسي فيك،

وأخالفُ قوانين القلبِ طوعًا،

كأنني أتعمد التيه في طريقٍ أعرفه.

كنتَ سرًّا يشبه الخطيئة الجميلة،

لا توبةَ عنها...

ولا اعتراف.

ثمّةَ شيءٌ منك يمرّ بي كلّما أغمضتُ عيني،

فأضيءُ...

وثمّةَ وجعٌ ناعم

يتسلّلُ في دمي كلّما تذكّرتُ صوتك،

كأن فيك من روحي جزءا

يُبقي الحياةَ في قلبي مشتعلة.

لا أشتاقك جسدًا،

بل حضورًا يُعيد ترتيبَ الفوضى داخلي،

ونبضًا أعرفه دون أن أسمعه،

وروحًا تُنبتُ في قلبي ربيعًا

كلما طال الغياب.

أشتاقك كما يشتاق المؤمن يقينه،
حين يطوف حول الحلم ولا يمسّه،
وكما يشتاقُ النورُ ظلالَهُ الأولى.

في حضورك،
يتوقّفُ الزمنُ عن عدّ لحظاته،
ويصيرُ الصمتُ كلامًا مفهوماً بيننا،
ويتحوّلُ الكونُ إلى فكرةٍ واحدة:
أنت.

وإن مرّ اسمك عابرًا في ذهني،
ارتجفَ المكانُ كما لو أنهُ صلّى،
وارتبكتُ كما ترتبكُ القصيدةُ
حين تشبهُ كاتبها أكثر مما يجب.

لهذا...
لا أطلبُ لقاءً،
ولا وعدًا،
كلُّ ما أريدهُ أن تبقى كما أنت،
سرًّا من الضوء،
يتسلّل إلى ليلي
حين ينامُ العالم

و أول ما أراه امامي

حين يزورني النهار

معلناً يوماً جديداً معك

حين نلتقي

كل لقاء بيننا يحمل صراعًا صغيرًا بين العقل والقلب.

نلتقي بملامحٍ متعبة، وكلماتٍ مؤجلة،

لكن عيوننا تفشي ما لم تجرؤ الحروف على قوله.

في لقائنا وِدّ لا يكتمل،

وغياب لا ينتهي،

وبينهما نعيش حكاية لا تسأم من البقاء في المنتصف.

و حين نلتقي...

لا تسألني ما بي،

ولا تفتش في عيني عن وجعٍ قديم،

دع أسرار خوفي تنام،

ودع القلق يذوب بين يديك...

لا تسأل عن الهالات ،

هي حكايات الليل التي لم تنم،

كل ما أريده...

أن تضمني حتى يهدأ قلبي،

ويقول العناق ما عجز الكلام عن البوح به

لم تكن صدفة

لم تكن صدفة حين عبرتَ طريقي.

كانت الحياة تمهّد لي طريق الوجع بثوبٍ من الدهشة.

كل صدفة تُخفي وراءها سببًا،

وكل لقاء يُربك مسار العمر بطريقة لا يُمكن نسيانها.

لا لم تكن صدفه

بل كنتَ سرًّا على خريطة عُمري العتيقِ

ظلًّا يرافقني في المنام وفي الصحوة

حرفًا يكتمل بي إذا سكن السطرَ وحده

كنتَ وعدًا خبّأه القدر في يدي

ومطراً ينتظر غيمتي كي يولد من غدِ

حتى إذا جاء اللقا...

انفرجت أبواب الحكايا،

وكتبتك في صدري قصيدةً أبدية،

يا أجمل أقداري وأعمق أسراري

تمنّيت

كنتُ أتمنى لو أنك بقيت هكذا...

كما تخيّلتك في أول وهلةٍ رأيتك فيها،

حين ظننتُ أن عينيك تخبئان لقلبي مقعدًا ثابتًا،
وأنك ستتجاوز كل المقاعد الفارغة لتجلس بجواري دون تردد،
أنك ستجري المسافات ركضًا لا بحثًا عن أحد، بل أملًا في رؤيتي،
ولو لثوانٍ تُعيد ترتيب العالم داخلي.

توقعتُ أن تحتفظ بتلك اللفتات الصغيرة،
أن تُصغي لحكايتي عن شيءٍ أحببته بعفويةٍ،
ثم تساءل عن كل التفاصيل، أملا في إطالة وقت يجمعنا
ظننتُ أنك ستضع يدك على الشقوق في روحي،
لا لتؤلمني، بل لتُزيّنها بخفةٍ وحنان،
أن تُصلح ما أفسده الآخرون دون أن تتعب، دون أن تُعاتب.

تمنّيتُ أن تبقى ذلك الرجل الذي يرى في ضعفي جمالًا،
وفي قوتي أنوثةً لا تهدده،
أن تبقى من يؤمن بي حتى وأنا لا أؤمن بنفسي،
من يحتويني بصمته، ويُنقذني منه حين يطول.
ذلك الذي لا يشكّ بي إن ابتعدت،
ولا يتركني أتعثر في فراغ المسافة بيننا،
و يفهم كلامي حين لا أجيد التعبير كما يفهم صمتي.

كنتُ أراك رجلاً لا يُعوَّض،
من يتحدث عني بخيرٍ حتى ونحن في خصام،

من يناديني" أسومه "حين يخفي الحزن صوتي ،

من يختار البقاء في كل مرةٍ حتى و إن كان هناك ألف سبب للرحيل.

لكنّك لم تبقَ كما ظننت...

لم تفعل ما توقعتُه حين رأيتك،

خذلت أمنيتي ، قهرت أملي

بدأت الانسحاب

أن تكون كما تمنّيتك في أول نظرة—

رجلاً يُعيد لأنوثتي معناها،

ولا يخذل الصورة التي رسمتها له في قلبي

باتت امنيتي المعلقه !

بعد أن تمنّيت أن نلتقي مرّة أخرى،

لأشهر طوال

ليس لتعود الأمور كما كانت،

بل لأراك وأقول" :أنت هنا، وها أنا الآن بخير".

لكن بعض الأمنيات تُخلق فقط لتظلّ معلّقة.

أحن

أحنّ إلى تلك اللحظات التي كنتَ تُشبه فيها الوطن،

إلى التفاصيل التي لم نفهم قيمتها إلا بعد أن ضاعت.

أحنّ إلى حديثٍ عابرٍ أعاد للحياة معناها،

وإلى السكون الذي كنتَ تصنعه في ضوضائي.

ليس الحنين ضعفًا، بل شكلٌ آخر من الذاكرة التي ترفض أن تشيخ.

و أحن

كل ليلةٍ منذ آخر كلامٍ منكْ

أستودعك اللهَ

ليحفظك ويحنو عليكْ

وكلما رأيتُ حضورك في صفحتكْ

و الدائرة الخضراء اكتملت

يضطرب قلبي، وأشتاقُ لصوتكْ

و أغار ، نعم أغار

أغار لعل لحظاتك مع غيري

ثم أغلق الهاتفَ لأني أضعف لذكركْ

ف كل لحظةٍ تمرّ وأنتَ معي

وكل ثانيةٍ تكون فيها أمامي

و سامحني ، لأني و كما اتفقنا

حاولتُ النسيانَ،

لكن خابت كل الطرقْ

أنتَ باقٍ هنا في قلبي،

ولن أنساكْ

في صمت الليل تؤنسني

كل نبضةٍ مني تُذكّركْ رغماً عني

أما احلامي فتتهادى إليكْ

و أمشي في ظلالها، أبحث عنكْ

أحاديثنا وضحكاتنا و راحتنا و مراهقتنا المتأخره

تنسج في قلبي ألف بيتٍ يحاكيكْ

حتى لو فرقنا الزمان والمكانْ

انا معك

أدعو لكَ في السر والعلانية

أن يحفظك الرحمنُ كل ثانية

و قلبي الذي تعلم الحب متأخراً

لك وحدك !

وأشتاقُك أكثر

كلما زاد الغياب

و سأشتاقك .... مهما طال الغياب

أغار فاعذرني

أغار من الصمت الذي يسكنك حين تغيب،

من الهدوء الذي لا أملك مفاتيحه.

أغار لأنني أحبّك بطريقة تجعلني أقرأك حتى في غيابك.

فاعذرني إن بدوتُ متناقضة،

فالحبّ لا يعرف الاعتدال،

والغياب لا يورّث إلا الجنون الجميل.

و إني أغار

إني أغارُ، فهل في الحبِّ تعذرني؟

وأنتَ سرُّ جنوني، نبض أقداري.

أهيمُ فيكَ، وفي عينيكَ أسكنني،

كأنَّ قلبي مِحْرابي ومِضْماري.

يا من سكبتُ لهُ نَفْسي قصائدَها،
ورسمتُ من شوقي ملامحَ أزهاري.

يا من بنيتُ لهُ في الروحِ مملكتِي،
فاستوطنَ الحُبُّ فيها دونَ إنذارِ.

تأمرُ فتُصغي جدرانُ الصمتِ طائعةً،
وتنهى، فيخضعُ وجداني وإصراري.

ملكٌ ...ولكن بلا شعبٍ ولا وطنٍ،
إلا أنا، و محبتي و إصراري.

قد أغلقتُ للعشّاقِ أسواري،
وجعلتُ بابِي إليكَ دونَ إنذارِ.

فأنتَ وحدك من في الحُبّ يسكنني،
وأنتَ وحدكَ حتى انهي أشعاري.

هبني قليلاً منك

هبني لحظةً من دفئك،

كلمةً واحدة من طمأنينتك،

نظرةً تختصر الغياب الطويل.

هبني شيئًا يبقيني قادرة على الانتظار،

فالذين نحبهم لا يرحلون تمامًا،

لكنّهم يتركون فينا مساحةً معلّقة بين الرجاء والاستسلام.

فهبني قليلًا منك

قطرةً من صوتك،

ومسافةً من عينيك

كي أضيع فيها كما يضيع الموج في البحر،

وأجدني فيك كما تجد الزهرة ظلّها.

امنحني من عمرك لحظة،

ومن روحك نبضة،

فأنا وهذا البعض منك،

أغلى عليَّ من كلّ العمر.

أغارُ من نسمةٍ تلامس كتفك،

ومن عينٍ تبصرك قبل أن أراك،

ومن ظلّك إذا سبقني إليك.

وأشتهي لو أُطفئ أنوار العالم،

وأغلق الأبواب،

وأترك الكون خلفي...

ليكون قلبي وحده منزلك.

فابقَ قريبًا...

كأنك وطني الأخير،

وملجئي إذا هربت من العالم،

وكن أنت الصباح الذي يوقظني،

والمساء الذي يطمئنني،

وآخر ما يغمض عليه قلبي...

ما بيننا

ما بيننا ليس حُبًّا عابرًا ولا صداقة مؤقتة.

ما بيننا حالة لا يمكن تعريفها،

هي شيء يشبه الضوء حين يمرّ في العتمة،

يترك أثره دون أن يراه أحد.

ما بيننا سرّ من أسرار القدر،

لن يفسّره الغياب ولا تغيّره المسافات.

ف ما بيننا

ما بيننا ليس شيئًا يسهل تصنيفه،

ليس حبًا تقليديًا يضج بالوعود،

ولا صداقةً تنحصر في حدود الكلام والمواساة.

هو مساحة سرّية نعيشها نحن وحدنا،

لغة لا يتقنها سوانا،

ونسخة من الجنون الناضج الذي يبتسم في صمت.

هو دفء بلا لهب، وهدوء بلا ملل،

ومدٌّ وجزر لا يرهقان القلب.

علاقتنا تجاوزت مراحل الظن والحذر،

وألغت فكرة الحسابات الصغيرة،

هي أوسع من الصداقة ...وأعمق من الحب،

تسكنها الراحة وتتنفس العفوية.

لا يخدشها الغياب، ولا تذبلها الأيام،

شعور ممتد بلا زمن،

لا يَعِد بـ"إلى الأبد "ولا يلوّح بـ"النهاية"،

إنه حكاية بلا عنوان...

لكنها الحكاية الوحيدة التي نصدقها.

مَن أتهم؟

قلبَكِ أم قلبي؟

ذاكَ الخفقُ الذي أربكني أم ارتجافُ صوتكِ حينَ نطقتِ اسمي؟

نصَّكِ الذي أغواني أم ضعفي أمام فكرةِ حضورك؟

أأُحاكمُ إحساسي الذي صدَّقَك؟

أمْ أُعاتبُ سَماعِي الذي التقطَ أنفاسَ قلبكِ بينَ السطور؟

كأنّ شيئًا فينا كانَ يعرفُ النهايةَ مُسبقًا،

ومع ذلكِ ...سِرنا إليها بكاملِ الطواعية.

لا أعلمُ...

هل كنتُ أنا من أبحرَ فيكِ، أم أنتِ من أغرقتِني دونَ قصد؟

كلُّ ما أعلمهُ أنّ نهرَكِ كانَ أوسعَ من مركبي،

وأنّ قلبي — رغمَ جهله و عناده — لم يتعلّم كيف يطفو حينَ يُحبّ.

كنت تشبه المطرَ،

تهطل دفعةً واحدةً على أراضٍ عطشى،

ثمّ تتركها حائرةً بين الخصبِ والفقد.

فمَن أَتَّهِم؟

الدهشةَ التي جعلتني أراكِ في الضوءِ والظلام؟

أمْ نفسي التي لم تُحسن الإصغاءَ لحدودِ الحلم؟

ربّما كنتِ الحقيقةَ التي جاءتْ متأخّرة،

وربّما كنتُ أنا الخطأَ الذي أحبّكِ أكثر مما ينبغي..

التقاء النقيضين

كنا نلتقي كالنقيضين اللذين لا يتفقان إلا في الوجع.

كنتَ النور الذي يُغري،

وكنتُ الظلّ الذي يخشى الانكشاف.

وحين حاولنا أن نصبح واحدًا،

تكسّرنا معًا،

لكننا تركنا خلفنا أثرًا لا يزول.

كالنقيضين

هو يقترب منكِ كما يقترب التائه من ضوءٍ في آخر الليل،

يخافه بقدر ما يحتاجه،

يده ترتجف من البرد، لكنها لا تقاوم دفأك.

كأن الحذر صار شكلاً من أشكال العشق.

وأنتِ...

تنجذبين إليه كما تنجذب الروح إلى مرآتها،

كعاصفةٍ عثرت على مركزها أخيراً،

تدورين حوله دون أن تجدي طريقاً للخروج،

فقد صار فوضاكِ اتزانك، وصمتكِ ضجيجه.

هو يمنحكِ سكونه كأنّه يصلي بكِ،

وأنتِ تهبينه جنونك كأنك توقظين العالم من نومه.

هو يلوذ بكِ ليفلت من العالم،

وأنتِ تغرقين فيه لتصنعي عالماً جديداً...

عالماً لا يُعرف فيه من أحبّ أولاً،

ولا من تألم أكثر،

بل من احترق بصمتٍ أعمق.

حجّتي لأقترب

كلما ابتعدتُ شعرتُ أنني أقترب أكثر.

حجّتي للعودة دائمًا واحدة :أنت.

ربما لا أملك الحق في البقاء،

لكن قلبي لم يتعلّم بعد كيف يغادر.

فكانت حجتي لأقترب

مساءُ الخيرِ لعينيكَ البعيدتَين،

لتلك اللحظةِ التي سرقتَ فيها قلبي بنظرةٍ واحدة...

لذلك الوقتِ الذي يمضي،

وأنا ما زلتُ هنا،

وأنتَ هناك...

ثم ماذا بعد؟

أبحثُ عن أيّ سببٍ لأحادثَك،

أفتّشُ بين الحروفِ عن ممرٍّ يقودُ إليك،

لكنّي لا أجد...

فهل تقبلُ اشتياقي إليك عُذرًا؟

هل يقنعُك قلقي الموجوعُ حجّةً لأقترب؟

أم أبقى أكتبُك في صمتي،

كأنّ المسافةَ بيننا قدرٌ لا يُمحى؟

حين يسكنك غائب

حين يسكنك غائب، لا تعود الأشياء كما كانت.

تبدو الحياة مشهدًا ناقصًا،

حتى الابتسامة تصبح عبورًا مؤقتًا نحو اللاشيء.

الغائب الذي يسكنك لا يرحل،

لكنه يُعيد تشكيلك بصمتٍ مؤلم،

يجعلك تفهم أن الحنين وطنٌ من وهمٍ جميل.

فحين يسكنك غائب تقول

كيف حالك يا من أخذك البعد عن عيني، وتركك في قلبي مقيمًا؟

أما زلت تذكرني حين يثقل الصمت على كاهلك؟

أما زال اسمي يمرُّ بخيالك كنسمةٍ عابرة، أم غادرت كأنني ما كنتُ يومًا؟

أسأل عنك من خلف ستار المسافة،

وأرسل إليك قلبي مع كل نسمة ليلٍ هادئة،

أتفقدك في غيابي كما يتفقد المساء قمره،

وأتساءل بصمتٍ موجع :هل يجيء وجهي في بالك، كما لا يغادر وجهك ذاكرتي؟

يا أنت ...أيها البعيد القريب،

أطمئن عليك من موطنٍ لا تطأه قدماك، لكنه مزدحم بك حتى الثمالة.

أكتبك بحبرٍ من لهفة،

وأرسمك في خرائط الوقت كأنك وطني حين تضيع الجهات.

واعلم...

أنك، رغم الغياب،

ورغم المسافات التي أنهكتنا،

ستبقى الأقرب إليّ من روحي ...من نبضي ...من حبل الوريد.

الفصل الثاني :صمتُ النداء

ما يهبط من القلب لا يرفعه اللسان.

ألوّحُ لما لا يُرى، كأن النداءَ يخرج من قلبي إلى قلبي.

أقول :يا أنا، تمهّلي ...إن الذين يعبرونكِ لا يملكون خرائطكِ.

ومن لا يعرفُ طريقَ الماء فيكِ، سيعطّشُ ظلالكِ بلا قصد.

أنا التي جرّبتُ أن أُنقذ الجميع، ثم تعلّمتُ أن أنقذني.

كلّما رفعتُ صوتي انكسرَ شيء، وكلّما سَكَتُّ التأمَ شقٌ قديم.

ما خُلِق للصمت لا يكتبه الصخب، وما انتصر بالهدوء لا تهزمه الريـح.

عبثا كان النداء

لم لم تأتني، كنت حولك

كنتَ حولي ولم تأتِ،

مررتَ بي كنسمةٍ خفيفةٍ لا تُمسك،

كأنك خِفت أن تُوقظ فيّ الحنين،

أو كأنك تعمدت أن تتركني أراك دون أن أراك.

كنتَ تعلم أن اللقاء لا يُشفى منه أحد،

وأن مجرّد وجودك يعيد ترتيب الفوضى فيّ.

لم تأتِ، لكنك كنت هناك،

كأنك تراقبني من مكانٍ لا أراه،

تختبر قدرتي على التحمّل،

وأنا أختبر حدودي بين الشوق والكبرياء

انتظرتك لأني أفتقدك...

أفتقدُ وجودك الذي كان يملأ فراغاتَ يومي،

تلكَ الابتسامة التي كانت وحدها قادرةً

على إعادة ترتيب فوضى قلبي.

اشتقتُ لصوتك، لنظراتك،

وللتفاصيل الصغيرة التي كنت تتركها

دون أن تدرك كم كانت تبقى بي بعدك.

غيابك أخذ معه شيئاً منّي،

وكأنني لم أعد كاملةً من دونك،

كنتَ لي أكثر من شخصٍ ...كنتَ إحساسًا،

وأمانًا، وبيتًا ألوذ به حين يضيق العالم.

لكنني اليوم — بعد رحلة بحثٍ طويلةٍ في الغياب—

وجدتك...

وجدتك كما تركتك، كما خبأتك في قلبي،

لم يتغيّر فيك سوى بعض الملامح التي زادها الشوق دفئًا.

وعرفتُ أن كل هذا الوقت،

كنتَ الحضور الغائب، والحنين المقيم في التفاصيل،

وأنني لم أفتقدك عبثًا...

بل كنتُ أفتّش عن نصفي الذي عاد إليّ حين رأيتك.

حب لا يعاش

كنت أقول إنّ الحبّ الذي يُتَصوّر لا يُعاش،

وأنّ ما نراه في الحلم ليس ما نحمله في القلب.

لكنّك جئت لتكسر يقيني،

فأصبح الحلم هو الحقيقة الوحيدة التي صدّقتها.

في حضورك أدركت أن الكلمة تُخفي أكثر مما تقول،

وأنّ الصمت حين يحبّ، يصيرُ أعذب من كلِّ حديث.

لن أضعف

هل تتذكّر...؟

ذلك الانتظار الطويل الذي لم يُفضِ إلى شيء،

كأننا كنّا نعيشُ بين الرجاء والرحيل، على حافةٍ لا قرار فيها،

يختنق فيها الصمت من فرطِ الوجع، ويظلُّ يتنفّسنا ببطءٍ كلّما حاولنا النجاة.

كنّا نلتقي في منتصف الغياب، لا قربٌ يجمعنا ولا بعدٌ يُنقذنا،

فقط مسافةٌ تُنزف فيها النظرات، وتتعثر الكلمات في طريقها إلى القلب.

كأننا كُنّا نعرف أن الخطوة التالية دائمًا وجع،

وأن كل مرورٍ بيننا يتركُ ندبةً جديدة لا تُشفى.

كنتُ أبحث عنك في كلّ ما يشبه العدم،

في وجهي الذي انكسر حين ناداك الحنين،

في حروفٍ تهرب من بين أصابعي كدمعةٍ تخافُ الانكشاف،

وفي ذاكرةٍ تتآكلُ الوقت لتُبقيك حيًّا بين طيّاتها.

كلّ ما منك كان ينقصني،

حتى الذكرى كانت تُرهق نبضي،

وكلّ غيابٍ منك كان يوسّع الهوّة بيني وبين الحياة.

لم نعرف الوداع، لأن الحكايةَ التي بيننا لم تعرف النهاية،

كانت تُعيد نفسها كصلاةٍ حزينةٍ لا تجد لها استجابة.

أتذكُر الصورة الأولى؟

ضحكتي الناقصة، نظرتك التي أوقفت الزمن،

كنا نبدو كأننا صدفةٌ كُتبت بمداد القدر.

تلك الصورة لم تشِخ،

ما زالت تفتح جرحها كلّ ليلةٍ وتدعونا لننزف من جديد.

تركتُ نوافذي للغيم، كأنني أستدعي حضورك من الغياب.

كتبتك بلا اسم، نزفتك بلا صوت،

وأنا أعلم أنك ستأتي،

ستمُرّ كما كنتَ دائمًا ...عابرًا في الظلّ،

تُشبه نفسك، ولا تكونها.

لم تكن يومًا بعيدًا،

كنتَ قريبًا حدّ الوجع،

قريبًا حتى صار حضورك يؤلمني أكثر من غيابك.

وها أنت أمامي الآن،

تملأ المكان ...وتترك قلبي خاليًا كما كان.

تبقى الصورة الأولى شاهدةً علينا،

على حكايةٍ لم تُكتب كما تمنّينا،

ولم تمت كما ظننّا.

فأنت الغيابُ الذي لا يغيب،

والألمُ الذي لا يهدأ،

وأنا ...ما زلتُ هناك،

عند الحافة الأولى من كلِّ شيء،

أكتبك كلّما توهّمتُ التعافي،

وأكتشف في آخر السطر أنني ما زلتُ منك ...تمامًا.

وتشابكت أصابعي عند اللقاء

كأنّ قلبي خرج من مخبئه يركض نحوك،
كأنّ العمر كلّه انتظر تلك اللحظة ليبدأ.
لم تحتملني الأرضُ لحظتها،
ولا السماء وسعت وجعي الجميل،
كنتَ قريبًا إلى حدّ أني نسيتُ نفسي،
وبعيدًا إلى حدّ أني خفتُ أن تبتعد ثانيةً.

كلّ ما فيَّ ارتبك،
عيني تفرّ إليك ولا تعرف أين تستقر،
نبضي يتلعثم،
وكأنّ جسدي كلّه يتهجّى اسمك للمرة الأولى.

أسلمتُ قلبي بلا حذر،
تركتُ له أن يركض إليك عاريًا من الخوف،
ونسيتُ أنني كنتُ أتدلّل كي لا أنكسر،
ونسيتُ كلّ كبريائي،
حين رأيتُ في عينيك وطنًا صغيرًا يصلح للسكن.

مَرُّوا جميعًا،
كظلالٍ عابرةٍ في نهاري المزدحم،

وبقيتَ أنتَ وحدكَ،

تسكنُ بين أضلعي كما يسكنُ اللحنُ في أغنيته،

توقظني حين أهدأ، وتهدّئني حين أشتعل.

كلّ مساءٍ أعود إليك من نفسي،

أحمل شوقي على أطراف أصابعي،

وأكتبك في صمتي قبل أناملي.

أراك في المرايا، وفي الطرقات، وفي ظلال الحنين،

كأنك انعكاسي في الكون كله،

كأنني لا أكتمل إلا بك.

يا من التقيتُه فتهتُ فيه،

خذني كما أنا، بارتباكي، بخوفي، باندفاعي،

خذني كما ضيّعتني في أول نظرة،

ولا تُعدني إلى ما كنتُ عليه قبلك،

أو ما عشته دونك

فما عدتُ أحتملُ.

أقسمُ إنّ الوجود بعدك فراغ،

وإنّ اللمسة التي منكَ،

تكفي لتُعيد خلقَ أنوثتي من رمادِ الغياب.

أحبّك لا كما يقولون،

بل كما يختنق الاسمُ في صدري حين أناديكَ،

كما ترتجفُ روحي حين تقترب،

وكأنّ قلبي كلّه يسجدُ لك دون أن يدري!!

لكن واقعنا مختلف

ف حين تشابكت أصابعي بك،

لم أدرِ إن كنتُ أتشبّث أم أودّع.

في تلك اللحظة القصيرة،

عبرت آلاف الكلمات بيننا بلا صوت،

وكان الوداع مختبئًا في ارتعاشةٍ صغيرةٍ من أصابعنا.

لم يكن اللقاء لقاءً،

كان اتفاقًا ضمنيًا على ألا نلتقي مجددًا،

لكننا التقينا بعد ذلك في الذكريات ألف مرة.

أرغب بدقيقة

أرغب بدقيقةٍ واحدة لا أكثر،

دقيقةٍ أراك فيها كما كنتَ،

قبل أن يسرقنا الغياب ويشوّه ملامحنا في الذاكرة.

أرغب بدقيقةٍ أقول لك فيها كل ما لم أقله،

دون خوفٍ أو انتظارٍ أو حسابٍ للنهايات.

أرغب بدقيقةٍ أنسى فيها أن العالم تغيّر،

وأصدق أن شيئًا منّا لا يزال كما كان.

أرغب بدقيقة

أخبرك، بصوتٍ يختبئ بين النبضات،

أنك وحدك

من عبر إليَّ،

من لمس روحي دون أن يطرق الباب...

أرغب بتلك الدقيقة

كما يرغب الغريق بآخر نفس،

كما يشتاق الليلُ إلى نجمةٍ

أضاعها منذ ألف عام...

ظننت أنّي تعافيت

ظننت أنّي تعافيت،

حتى مرّ اسمك صدفةً،

فاضطرب قلبي كطفلٍ تذكّر حكايةً قديمة.

ظننت أنّي نسيت،

حتى سمعت صوتًا يشبهك،

فعرفت أنّ النسيان لا يُشفى منه المرء،

بل يتعايش معه فقط.

نعم ظننت انني تعافيت

كنتُ أظنّ أن الليلَ نسيَ وجعي،

وأن قلبي استعادَ إيقاعَه القديم،

لكنّي حين قرأتُ:

"*تنتهي الفاجعة، ثم تسكننا النوبات إلى الأبد*"

عرفتُ أنني ما شُفيت،

بل تصالحتُ مع الألم،

وصار بيننا اتفاقٌ صامت،

أن يسكنني دون أن يوجعني كلَّ مرة،

وأن أتنفّسَه كما أتنفّسُ الحياة.

تغيّر شكل البكاءِ في عيني،

لم يعد صاخباً،

بل صار سكوناً يفيض على الروح،

وجعاً لا يُرى...

لكنّي أشعره في ارتعاشة أصابعي،

وفي ارتباك خطواتي حين أسمع اسماً يشبهكَ.

تبدو الأيام هادئة،

لكن في صدري مقبرةُ ضوء،

وفي داخلي أنينُ ذكرى

تستيقظُ كلّما ظننتُ أني نجوت.

لم أتعافَ...

أنا فقط أعيشُ بسلامٍ مع الجرح،

أدلّله كي لا يثور،

وأخفيه كي لا يفضحَ قلبي،

وأبتسمُ كي لا يُقال:

إنها ما زالت تبكي من الداخل.

محاولة الابتعاد

أحاول الابتعاد،

لكن الطريق كلّه أنت.

كلّما سرتُ خطوةً،

وجدتُ أثرك يسبقني.

كيف أهرب منك وأنت تسكن تفاصيل الأشياء؟

حتى الصمت يحمل نبرتك،

وحتى العيون الغريبة تشبه نظرتك حين كانت تخصّني.

أحاول الابتعاد

و الغريبُ في الأمرِ

أنني لا أشفى من الأشياءِ التي لا تُرى،

أعودُ إليها كمن يمشي في أثرِ نفسه،

وأتعثّرُ بكلِّ ما ظننتُ أنني تجاوزتُه.

كلُّ محاولةٍ للابتعادِ

تُعيدني إلى بداياتٍ لا أعرفُ كيف بدأت

فكأنّ الحكايةَ دائرةٌ مغلقة،

تمضي بي لأعودَ منها إليّ.

أصابُ بالحنينِ إلى ما أجهل

وأستيقظُ على فكرةٍ تُشبهني ولا تُشبهُ أحدًا،

شيءٌ في هذا العالمِ يُصرّ أن يختبرني،

أن يُبقيني بين نصفَ وعيٍ ونصفَ غياب.

هي حربٌ بلا سلاح،

وصمتٌ يضجُّ بالضجيج،

أنجو حينًا، وأسقطُ حينًا،

ولا أدري...

أأنا من يقاتل، أم أنا مَن يُقاتَل؟

رغم حذري

رغم كل الحذر، تسلّلتَ إليّ.

كنتُ أضع المسافات كحواجزَ حول قلبي،

لكنّك جئت من ثغرةٍ لم أنتبه لها،

من لحظة صدقٍ بين كذبتين.

رغم حذري، انكشفت أمامك كما لم أفعل مع أحد،

وما زلتَ تسكنني برغم كلّ محاولات الطرد.

رغم حذري

وقعتُ بكَ،

كالتي تُدني كفَّها من النارِ

لا طلبًا للاحتراقِ، بل لأنَّ الدفءَ يُنقذها من بردٍ قديم.

سردتُ لكَ ما ضننتُ به على الدنيا،

فتكلم قلبي بلغته الأولى،

وانكشفتْ روحي كنافذةٍ على مطر،

وأنا التي كنتُ أحرس سرّي كحارسِ ليلٍ لا ينعس.

تذكّرتُكَ رغم هشاشةِ ذاكرتي،

فبتَّ العلامةَ الفارقة بين يومٍ ويوم،

ظلًّا يمرُّ على جدار الوقت

فيطيل المساء ويُوجِع الصباح.

وقعتُ بكَ لا صدفةً ولا ضعفًا،

بل لأنّ فيك شيئًا يشبهني

ويُلملم كِسري حين أظنُّ الشفاء بعيدًا.

لكنني—وأنا أقترب—أُداري وجعًا خفيًّا:

كيف أحببتُك أكثرَ مما أملك،

وأقلَّ مما يستحقُّ قلبي؟

أنا التي تخاف الفقدَ قبل الوصل،

وتحفظُ أسماء الرحيل أكثرَ من عناوين اللقاء،

أمدُّ لكَ قلبي،

وأخبّئ دمعةً لا تريد الاعتراف.

فإن بقيتَ،

صارَ للعتمةِ نافذةٌ،

وإن ابتعدتَ،

ظلَّ اسمي عليكَ صلاةً

ويداي على وجعي سلام .

هي و هو

هي التي كانت تشبه الفجر حين يبتسم بعد ليلٍ طويل.

هي التي تُربك الحزن بابتسامةٍ صغيرة،

وتعلّم الصبر أن يكون أنيقًا.

أحبت فامتلأت ألما

هي

تريده كما لا ينبغي لها، وكلما ابتعد، ازداد ثقل حضوره في قلبها.

تتعلّق به لا لأنّه لها، بل لأنه المستحيل الوحيد الذي شعرت بأنه يُشبهها.

هو

يحسب أنّ حبّها لعبة مزاج، بين اقترابٍ يدفئه وابتعادٍ يبرده .

لا يعرف أن الحرب في داخلها أشدّ من أن تُحسم بسهولة

فصراعها بين ما ينبغي، و بين ما تريد !

هي

تتأرجح بين استسلامٍ للمنطق، وانهزامها أمام نبضها حين يُناديه.

ليست متقلّبة، بل ممزّقة.

هو

يرى عجزه أمامها جريمة لا يغفرها لنفسه، فيبتعد كمن يُنفّذ حكمًا على قلبه.

يعرف أن البقاء قد يؤذيها، والغياب لا يُنقذها.

هي

تنتظر معجزةً، لا تغيّر الواقع، بل تغيّر إحساسها به .تريده أن يكون السبب والنتيجة، البداية والاحتمال الوحيد.

هو

يتألّم بصمتٍ مرتين؛ حين يشعر بها دون أن تبوح، وحين لا يملك أن يُنقذها حتى من نفسه.

هي

يزهر حبها بالألم، وتذبل دون وجعه.

هو بقاؤها الأخير، والبديل عنه مجرّد وجود بلا نبض.

هو

يحترق كلّما رآها مع غيره، أو تظاهرت بعدم الاكتراث.

يحاول أن يُطفئ مشاعره،لكنها تعود وتوقظه بنظرة، بكلمة، بغياب.

هي

لا تريده لغيرها، حتى لو ادّعت العكس.

تُخفي غيرتها خلف قناعٍ من البرود، لكن قلبها لا يجيد الكذب.

هو

يتمنّى لو يأخذها إليه بلا عودة.

يتمنى لو كانت له و يتمنى أن يخبرها كيف تحتل كلّ شي.

،لكنه يخاف أن يُرهقها به أكثر ،فيكتم

هما

عالقان في مشاعر لا تُقال،

وغرقى في أمانٍ لا يملكونه.

تحدث بينهما ألف حربٍ كل يوم،

وفي داخل كلٍّ منهما حربٌ لا تهدأ،

ورغم كل شئ

لا يجد كلٌّ منهما السلام، إلّا حين يسكن قلب الآخر.

و لا يجدان الراحة

إلا حين يضيعان في عيون بعضهما.

أرهقني صمتك

أرهقني صمتك أكثر من غيابك.

كنتَ حاضرًا في كل شيءٍ إلا في الكلمة.

كأنّك قررت أن تجعلني أسمع غيابك بصوتٍ لا يُحتمل.

أرهقني أن أبحث عنك في صمتك،

ولا أجد إلا جدارًا من المسافات الباردة.

هل تدرك كم أرهقني صمتك؟

ذلك الصمت الذي لا يُشبه الخصام، ولا يُشبه السلام أيضًا...

تلك المنطقة الرمادية،التي تجعلني أُعيد قراءة كل التفاصيل،

وأتساءل :هل انتهى كل شيء، أم أننا ما زلنا ننتظر شيئًا لم يكتمل؟

صمتك لا يُريـح، إنه يفتح كل الأبواب التي أغلقتها في وجهي.

يجعلني أفكر أكثر مما يجب،

أحب أكثر مما يُحتمل،

وأفقد يقيني بك ببطء، دون أن يحدث شيء حقيقي بيننا.

هناك من يرحل بكلمة،

وهناك من يرحل مثلك، بصمتٍ طويل،

يترك خلفه ضجيجًا لا يهدأ،

صدىً لا يسمعه أحد سواي.

لكن الأصعب، أن أتعلم بعدك كيف أُطفئ صوت الانتظار في قلبي،

أن أُعيد ترتيب داخلي بعد أن ظل واقفًا عند بابك،

منتظرًا إشارةً لا تأتي.

اليوم بدأت أفهم،

أن الهدوء لا يعني دائمًا راحة،

بل قد يكون نوعًا من الاستسلام بعد تعبٍ طويل،

وأن الذين صمتوا عنا،

لم ينسوا الكلام، بل فقدوا رغبتهم في أن نسمعهم كما كنا.

أعرف الآن،

أن صمتك كان درسك القاسي الذي لم تقصده،

علّمتني به أن ما مات بالخذلان لا يُبعث،

وأن الطمأنينة لا تُزرع في قلبٍ أرهقته الاحتمالات.

فمضيت،

أخفيت في صدري وجعًا أنيقًا لا يليق بأحدٍ غيرك،

وتعلمت أن أبتسم وكأن شيئًا لم يحدث،

أن أخفي ما في داخلي

و في داخلي لا يزال صدى غيابك يملأ المكان،

يضجّ بي كل ليلة،

ولا يسمعه أحد ...غيري

و لا يؤلم قلب غيري

طال الغياب

طال الغياب،

حتى صار الحنين عادةً لا تُشفى.

يمرّ الوقت، ولا شيء يتغيّر سوى أن الذاكرة تثقل أكثر.

كنتُ أظنّ أن الأيام تُمزّق صورتك،

لكنّها فقط أعادت رسمك بلونٍ أهدأ وأوجع.

طال الغياب،

وما زال في داخلي شيءٌ ينتظر أن تفتح الباب.

زدت في الغياب

و لم أعُد أبحثُ في الطرقاتِ عن خُطاهْ،

ولا أُصغي لنبضِ الليلِ ناداهْ.

كنتُ أرجوهُ، وكانَ رجاؤُهُ

يمتدُّ في صدري، ويُحييني صِداهْ.

كلّما مرَّ الحنينُ بخاطري،

هاجرتْ روحي إليهِ، إلى مَداهْ.

أتذكَّرُهُ، والسكوتُ يحوطُني،

كالحُلمِ يأتي، ثم يرحلُ في سناهْ.

أعلمُ أنَّ اللقاءَ بعيدُنا،

لكنَّ ذكرَاهُ تُدفّيني هواهْ.

ليسَ حُبًّا يَفرِضُ القلبُ أمرَهُ،

بلْ اختيارُ الروحِ، أو بعضُ ابتلاهْ.

قد كفاني أنَّهُ يسكنُ مهجتي،

ويُضيءُ أيّامي إذا طالَ جفاهْ.

هناكَ، حيثُ الأمانُ كما دُعا،

ولا يخونُ الوعدَ إلّا من نَساهْ.

يجري بدمي نغمةً هادئةً،

في صلاتي ...في بكائي ...في دُعاهْ.

وإنْ غابَ وجهُهُ عن ناظري،

فهوَ في قلبي ...سنا عمري ومأواهْ

الفصل الثالث :صمتُ الغياب

الفراغ ليس مكانًا؛ إنه أثرُ مَن عبر ولم يعد.

لا يشبه الغيابُ أبوابًا تُغلق؛ إنّه نافذةٌ تُفتح على سؤالٍ لا إجابةَ له.

تبدو التفاصيلُ عاديةً إلى أن تَفقدَ اسمَها، وحين تفقد الاسمَ تغدو ثقلًا شفافًا فوق الروح.

تعلّمتُ أن أضعَ كرسيًا فارغًا للذاكرة، وأن أقول لها :اجلسي إن شئتِ،

لكن لا تُحدّقي طويلًا في قلبي.

فالغيابُ إذا طالَ صار عادةً، والعادةُ إذا اشتدّت صارت جلدًا آخر.

الصمت

وصلتُ إلى مرحلةٍ يمتلئُ فيها قلبي بالكلام،

كأنَّ داخلي ضجيجٌ يكفي لأيامٍ طويلة،

لديَّ مئةُ تبرير، وألفُ سبب،

ومليونُ عذرٍ يمكنني أن أقولَه...

لكنني في النهاية أختارُ الصمت.

أصمتُ لأنني أدركتُ أن بعضَ المواضيع لم تَعُد تستحقُّ تفسيرًا،

ولا حتى محاولةَ شرحٍ أو دفاع.

أصمتُ لأنَّ في الناس من خَسِرَ مكانه بصمته،

وفيهم من لا يستحقُّ بعد الآن جهدَ الكلمةِ ولا صدقَ الشعور.

أصمتُ حين أفهم أن الكلامَ لن يُغيّر شيئًا،

وأنَّ الشرحَ لمن لا يريد الفهم، استنزافٌ لا جدوى منه.

فالصمتُ أحيانًا كرامة،

وأحيانًا شفاء،

وأحيانًا إعلانٌ ناعمٌ بأنَّ الأمورَ وصلت إلى نهايتها ...بهدوء.

منفى الحنين

في منفى الحنين، تتساوى المواسم.

لا صيف يُدفئك، ولا شتاء يغسلك من الذاكرة.

كل الطرق تؤدي إلى ملامحه،

وكل الأغاني تذكّرك بظلّه.

في منفى الحنين لا نحتاج جواز سفر،

نحتاج قلبًا لم يتعلّم النسيان بعد.

وحده الغياب يعلّمنا أن للفراغ لغة،

وأنّ الأصوات القديمة لا تموت بل تنام فينا.

وفي منفى الحنين

كأنَّك خارطةُ وطني
أَمشي عليكَ بكلّ قلبي،
ثم أضيعْ.

تُطلُّ من ظِلّ الغياب،
فلا تعودُ، ولا تَبيعْ
دمعَ العيونِ على الرحيلْ...
ولا تُشيعْ.

أَنتَ المنفى،
وأَنا اللاجئُ في صوتِكَ البعيدْ
أَقتاتُ من ذكرى
ومن وجعٍ جديدْ.

أَنتَ المنفى،
تغيبُ كأنّك الأَوطانُ تُنهَبُ في المساءْ،
وتَحضُرُ في العيونِ بلا دعاءْ.

كلّ المدنْ
مرَّتْ من صوتِك ذات حنينْ،

وكلُّ الشوارعِ

في يديكَ تقول" :كُنْ."

فكيفَ لا أَضلُّ فيك؟

وأَنتَ خارطةُ الشجنْ،

وأَنا المُسافرُ فيكَ

منفىً ...لا يُؤويني وطنْ.

تعبٌ لا يُقال

تعبٌ لا يُقال،

كأن الكلمات تخون التعبير حين نحاول البوح.

نبدو بخير، لكننا في الحقيقة نتهالك في صمتٍ نبيل.

لا أحد يفهم أنّ الهدوء أحيانًا جدارٌ من وجعٍ قديم،

وأنّ الوجوه المبتسمة تخفي خلفها نحيبًا مؤجّلًا.

تعبٌ لا يُقال، لأن الكلام لا يُنصف من يتعب بصمت،

ولا يُشفى القلب حين يُروى ما لا يُفهم.

هو تعب لا يقال

أموت وجعًا هذه الفترة...

تبدّلتُ في كل شيء، حتى وجهي لم يعُد يشبهني.

أختلق لنفسي ضحكةً تشبه الحياة، وهمٌ صغيرٌ أخفي خلفه انهياري،

يظنونها فرحًا، ولا يعلمون أنني أضحك كي لا أبكي،

وأنّ كل ابتسامةٍ أُخرجها من بين الرماد كأنها استغاثة.

ثم ماذا؟

ثم تعبٌ لا يُقال، ينهش الروح بصمت،

تعبٌ لا يراه أحد، لكنه يسكن العظام ويثقل الخطى.

أشعر أنني أعيش على حافة الانطفاء،

كل شيءٍ داخلي يصيح" كفى"،

لكنني أستمر ...لأنني لا أملك خيارًا آخر.

أشعر وكأن العالم يسير بلونٍ باهت،

والأيام تمرّ دون أن تترك في قلبي سوى فراغٍ أكبر.

كم مرة حاولت أن أرمم نفسي بالكلمات،

أن أزرع في قلبي أملًا صغيرًا،

لكن كل الأزهار ماتت قبل أن تُفتح.

أنا متعبة...

متعبة بحجم كل صبرٍ قمتُّ به،

بحجم كل خذلانٍ تجرّعته ولم أتكلم،

بحجم كل ليلٍ طويلٍ بكيتُ فيه دون صوت.

الوجع صار وجهي الآخر،

صار أنفاسي التي أتنفسها بصعوبة،

وصار رفيقي في الطريق الذي لا أعرف نهايته.

ومع ذلك ...ما زلت هنا،

أحمل نفسي المنهكة وأكمل السير،

كأنني أقاوم لأثبت أن ما تبقّى مني

ما زال يستحق أن يعيش ...ولو للحظة واحدة أخرى

سأتمرد مجدداً ، هذه صفتي

اعلم أني لا أرضى بالخذعان

يوماً ما سأكون بخير.

ما نسيتك يوماً

بين نسيانٍ ونسيانٍ ...ما زلتُ أذكرك.

ليس لأن الذاكرةَ عنيدة، بل لأنك أصبحتَ شيئًا منّي، تسكنني كما يسكنُ النورُ نوافذَ الصباح.

كلّما حاولتُ أن أُغلق بابَك في قلبي، تسلّلتَ من بين الشقوق، كنسمةٍ تأبى الرحيل.

بين غيابٍ وغيابٍ ...ما زلتُ أنتظرك.

أنتظرك بصمتٍ يفيضُ حنينًا، كمن يترقّب معجزةً صغيرة تعيدُه إلى الحياة.

أنتظرك لأن غيابك لا يُشبه الغياب، بل يشبه فراغًا يُعيدني إليك في كلّ لحظة.

وبين لقاءٍ ولقاءٍ ...أشتاقك.

أشتاق حضورك الذي كان يملأ الأشياء طمأنينة، وغيابك الذي علّمني كيف يُبكى بصمت.

أشتاقك لأنك لم تكن يومًا عابرًا، بل كنتَ المعنى الذي استقرّ في القلب، فلم يغادره أبدًا.

فتذكّر دائمًا...

أنني ما خذلتُ حبّك يومًا، ولا تخلّيتُ عنك وإن طال الغياب.

فأنت الحكاية التي لم تُغلق صفحاتها بعد،

وأنا ما زلتُ أعيش بين سطورها، أتنفّسك حنينًا، وأكتُبك وجعًا جميلًا لا يشبه أحدًا.

من التي لم تنسك يومًا،

ولا تزال تكتُبك في سرّها كأنّك آخر حروف العمر.

أحبك برغم المسافات !

وجب الرحيل

وجب الرحيل،

لا لأننا أردنا ذلك،

بل لأن البقاء صار وجعًا متكرّرًا.

أحيانًا تكون المغادرة شكلاً من أشكال النجاة،

ننجو من أنفسنا، لا منهم.

وجب الرحيل لأنّ الحكاية اكتملت بالوجع،

ولأن القلب الذي أحبّ كثيرًا يستحق الراحة أخيرًا.

عندما تُطفئ المسافات أنفاس الوصل،

وحين يغدو التمسك جرحًا ينهش الروح،

وحين يتحول الحب إلى حجرٍ ثقيل يسحق القلب

بدل أن يرفعه...

عندها لا يبقى للرحيل بديل،

ولو كان موجعًا كاقتلاع النبض من الجسد

اهرب بوجعي إلى قصيدة

ألوذ بالخجل

في كل مرة يرتطم فيها قلبي بالأرض،

ولكنني هذه المرة

لا أريد أن أشيح بقلبي

أريد أن أحوّل كل هذا الألم

إلى قصيدة..

فلم أجد وسيلة للهروب منك

إلا القصيدة.

كلما حاولت أن أنساك،

كتبتك من جديد في كل بيتٍ من الشعر.

صرتَ لغتي الملعونة، وملاذي الوحيد.

حتى حين أكتب عن الآخرين،

يظهر ظلك بين الحروف،

كأنني أكتبك دون أن أذكرك.

ينزفني بعد النهاية

لم أُسطّرك حين كنتَ نبضًا في دنياي

خشيتُ أن يشي بي المداد

كما باحت بي عيناي في لحظة انكسار.

أحببتك في صمتٍ أثقل من الخطيئة

كأنما أُواري في صدري جثةً

وأكبح شهقتها عن النجاة.

كنتَ الحرفَ العاصي

والنظرة المبتورة قبل اكتمالها

وكنتَ حبًا يُدمي القلب

ويبتسم وهو يغرس سُمه ببطء.

وها أنا الآن ...أكشف جرحي وأعترف :

ما كان الصمت نجاةً بل كان خنجرا

غرسته بيدي في قلبي

وتركته

ينزف بعد رحيلك

و علمت

أن ما بعد النهاية ليس فراغًا،

إنه امتدادٌ آخر للحكاية نفسها.

ينزفني حضورك في الغياب،

ويؤلمني أنك ما زلتَ الجزء الذي لا يُشفى.

أخبرتُ نفسي أنني تجاوزت،

لكن كل طريقٍ يخلو منك يذكّرني أنّي ما زلت هناك،

في الصفحة الأخيرة التي لم تُغلق تمامًا.

رائحة الجحيم

رائحة الجحيم ليست نارًا،

بل ذاكرة لا تموت.

حين تمرّ الذكريات قرب قلبي،

تشتعل من دون أن تحترق.

كل ما ظننته نسيانًا،

كان هدنةً بيني وبين الوجع.

أعيشها كل يومٍ كطقسٍ من العقاب الجميل،

حيث أتذكّرك دون أن أريد،

وأحبّك دون أن أجرؤ.

و كانت ... رائحة الجحيم

حينما اجتاحني

لم تكن مجرد لحظة عابرة،

كان إعصاراً يتسلل إلى أعماقي،

يفتح أبواباً صدئة

طالما أحكمتُ إغلاقها.

شممتُ رائحة الجحيم

في أنفاسي المرتجفة،

وشعرتُ كأنني أسير

إلى ظلالِ أماكنٍ

حرّمتها على نفسي دهراً،

أماكن تتوهج بالشهوة

وتنطفئ فيها الإرادة.

أخذني بعيداً...

بعيداً حيث لا عقل يعلو على الجسد،

ولا وازع يعلو على اللذة،

هناك حيث تتعرى الأرواح

وتتساقط الأقنعة،

هناك حيث ينهزم الإنسان،

ولو للحظة،

أمام غوايةٍ أكبر منه.

أخيراً أدركت

كيف يُستدرج المرء إلى الخطيئة،

وكيف يبرّر قلبه الضعيف

انهياره باسم الحب،

أو باسم شيءٍ يشبهه.

يكبر بعيدًا عني

كلّ ما بيننا يكبر بعيدًا عني،

حتى الذكرى صارت أكبر من احتمالي.

كبرت المسافة،

وصرتَ غريبًا يشبهني.

أراك في الملامح العابرة،

وفي الأصوات التي تشبهك،

لكنّك لم تعد أنت،

ولا أنا تلك التي كنت.

و بينما هما يكبران بعيداً

هي:

لم تكن درامية.

لا تكتب منشورات عن الخذلان،

ولا تُلقي اللوم على الأقدار،

ولا تتحدث كثيرًا عن" من رحلوا."

هي فقط تصمت.

تصمت كثيرًا.

تعيش يومها كما يجب،

تذهب إلى عملها في الوقت،

تبتسم لزملائها،

تشرب قهوتها بنصف تركيز،

وتردّ على الرسائل منتظرة اسمه ...هي لا تنسى.

في قلبها حكاية لم تُروَ،

وفي ذاكرتها وجهٌ لا يُغادر.

كان وجهه هو

و هو:

ليس غائبًا تمامًا،

ولا حاضرًا كما تشتهي.

لا يُحادثها، لا يراسلها، لا يسأل عنها...

لكنها تشعر به،

تشعر أنه موجود، في مكانٍ ما، يتنفّس، يضحك، و يزداد عمرا...، بعيدًا عنها

لم يخذلها.

لم يكذب، لم يَبتعِد، و لم يتلاعب.

كان صادقًا جدًا،

لهذا رحل حين عَلِم أن الزمن لا يريد لهما أن يبقيا.

قالت له يومًا:

"لسنا خطأ، نحن فقط في الوقت الخطأ".

ابتسما بحزن ...وذهب.

وهي؟

لم تلحقه!

لم تكن من النساء اللواتي يتوسّلن البقاء،

لكنها من النساء اللواتي، حين يُحببن، يحملن الخسارة في قلوبهن كصوتٍ لا يُطفأ.

ترى صوره أحيانًا.

تعرف أن هناك أخرى تُمسك يده.

تعرف أن ضحكته الآن تُهدى لسواها.

تغار ولا تغار!

لكن قلبها لا يزال حيًّا بعد كل هذا !!!

هي لا تنتظره...

لكنها لا تبني فوق وجعه جسرًا جديدًا.

تخفي داخلها صورة قديمة لم تختفِ.

يقولون إنها قوية.

متخطية لكل العقبات".

ولا أحد يعرف أنها كل ليلة...

تنام في منتصف السرير،

و تترك النصف الآخر فارغًا،

لذكرى لم تأتِ، وموعدٍ لن يعود.

هو هناك، يكبر...

قائلة :

كل عام وانت بخير و حبي لك وحدك

وأمام الجميع، هي تكبر أيضًا،

لكنها ليست بخير ...فهي ما زالت في نفس العمر الذي تركها فيه.

صوتها لا زال يحمل رجفة اسمه،

عيناها تحفظ ملامحه كما تُحفظ الأشياء المقدّسة.

لا شيء يموت فيها نحوه،

ولا شيء يكبر ... سوى الصبر.

هي لا تريده أن يعود،

ولا تريد أن ينسى.

لكنها تريد أن يعلم

أن هناك قلبًا ما،

لا يزال يُحبّه،

دون طلب، دون شرط، دون وجود.

أما هو

هو لم يتركها لأنه يريد.

لم يكن قادرًا على البقاء،

لكنّه لم يرَ في الزمن إلا وجهاً قاسياً، لا يرحم.

كانت الحقيقة،

أنهما كانا في توقيت خاطئ،

وكأنّ القدر قرر أن يفصل بين قصة كانت يمكن أن تصبح أجمل ما في حياتهما.

هو يكبر،

لكنّه لا ينسى.

يرى صورها في عينيه كل يوم،

يسمع ضحكتها في صمت غرفته،

يتذكّر كيف كانت تملأ اللحظات و تجمل الحياة ،

وكيف كانت تشاركه بصوت مليء بالأمان

يظن أحيانًا أن الفراغ الذي تركته لا يمكن أن يمتلئ.

مفكرا

ربما عاد لها غيره ، وربما ضحكت معه ، وربما مدت له يدها

لكنّ مكانه في قلبها لا يزال فارغًا، كما هو في قلبه.

هو لا يريدها أن تعاني،

ولا يريدها أن تنتظره عبثًا،

لكنّه يخاف أن يكبر بعيدًا عنها، أن ينسى، أو أن تُنسيه.

كان يتمنى لو كان الوقت عادلًا، لو أنهما لم يلتقيا فقط ليخسرا بعضهما،

ولو أنّه بإمكانه أن يمسك بيدها اليوم كما أمس،

لكنّ الواقع أقسى !

هو هناك ...يكبر،

وحيدًا رغم كل الوجوه حوله،

يتمنى لو تعرف كم كانت تعني له،

وأنّه ما زال يحاول أن يحفظها في صمته، في أيامه، في كل حلم لم يكتمل.

يريد أن يقول لها:

"أنا آسف لأنني تأخرت و ما ظهرت،

وأنني أحببتك أكثر مما تعتقدين،

مع أني لم أتوقع ذلك و لم اسع له!

حتى وإن كبرنا بعيدًا،

ستظلين أنت الحكاية التي لا تنتهي".

لكن الكلمات تبقى عالقة في حلقه،

والأيام تمضي،

وهي ...لا تزال هناك،

في القلب ...في الذاكرة ...في الروح.

و هما

في كل يوم،

حين يغرب الليل،

يجلسان وحيدين ،

هي ترسل له سلامًا في صمت،

و هو

يدعو أن تكون بخير،

و كل منهما يتمنى أن يبقى الآخر ذكراه الجميله

ولا تدري

هل هو يشعر بها،

هل هناك لحظة في زحمة حياته،

تتوقف فيها أنفاسه،

ويرجع بذاكرته إلى تلك اللحظة،

إلى ذلك الوقت،

إلى ذلك الحب الذي لم يُكتب له أن يُعاش.

و هو يظل ينتظر،

لا لتعود،

ولكن لتعرف،

أنه كان هناك،

واقفا مثلها

ينتظرها

و يعلم

أنها لا تزال ...تنتظره

هما

يحتفظان بكل شيء كما هو،

في القلب، في الذاكرة،و في الدعاء.

إلى أن يحين الوقت.

الزمان

الزمان لا ينسى،

هو فقط يمرّ ليختبر صبرنا.

يمحو ملامحنا في الظاهر،

لكنّه يحتفظ بالتفاصيل في أعماقٍ لا تطالها يد.

الزمان لا يعالج الغياب،

بل يعلّمنا أن نعيش معه كرفيقٍ ثقيل الظل،

يذكّرنا في كل لحظة أن كل شيءٍ مؤقّت.

و مع الزمان

قد أثقلكَ الصمتُ الطويلُ، وأدركُ

أنَّ الجراحَ تُخاتِلُ الأعماقَ فيكَ

وأنا التي أهوى حضورَك هامسًا

كالنورِ، يسكُنُ في المدى ويُضيئُكَ

فَدَعِ الفرارَ، وعدْ إليَّ، فإنَّني

أُبقيتُ قلبي موطنًا يُؤويكَ

تعالَ، فأنتَ النورُ في أيّامِنا

وبِكَ الرجاءُ يعودُ بعدَ شتاتِهِ

نمضي معًا، والفجرُ يشهدُ خُطوَنا

ونبدِّدُ الظلماءَ في خطواتِنا

دعنا ننسَّ ما فاتَ، واغفُ في الحُمى

روحانِ يجمعُ بينَنا ميثاقُنا

فإذا اتّحدنا، صِرْنا ضدَّ عالمٍ

يمضي، ويبقى في الهوى ميثاقُنا

وسنحيا ما دامَ فينا نبضُنا

ونظلُّ نزرعُ للحياةِ شذاكِنا

وإذا تفرَّقَ بينَنا قَدَرُ المدى

يبقى الوفاءُ لنا، ويُبقي ذِكرَنا

ظلّ بلا ملامح

أراك ظلًّا بلا ملامح، تمرّ بي كنسمةٍ لا تُمسك،تُربكني كذكرى لم تكتمل.

أحيانًا أشعر أنك ما زلت هنا،

لكن حين ألتفت، لا أجد سوى نفسي.

صرتَ غيابًا دائمًا، ووجعًا له هيئة الحضور.

ذلكَ الذي أجهلهُ الآن...

هو أنتَ.

أنتَ من كان يومًا يملأُ روحي دفئًا، ثم انسحبَ منها بصمتٍ باردٍ، تاركًا خلفهُ خرابًا لا يُرمَّم.

في غيابكَ، صارَ قلبي كهلاً، انحنتْ ملامحي تحتَ ثقلِ الخذلان، وشابَ الحنينُ في صدري كما يشيبُ العُمرُ في لحظةِ فَقد.

تجوّلُ في الذاكرةِ كما يتجوّلُ الغريبُ في مدينةٍ خربتْ بعدَ الحرب،

لا تلتفتُ، لا ترى الركامَ الذي خلّفتهُ في عينيّ،

ولا تسمعُ أنينَ الحبّ الذي ما زالَ يحتضرُ على أطرافِ اسمي.

أراكَ تمرُّ من بعيدٍ كظلٍّ لا ملامحَ له،

تظهرُ في قلبي ثمّ تتوارى،

توقظُ الحنينَ كعاصفةٍ ثمّ تتركني أواجهُ الرمادَ وحدي.

تجاهلتَني حتى كدتُ أصدّق أنني لم أكن،

لكنّ الوجعَ لا يُكذّب،

ففي صدري منك صدى لا يموت،

وصوتُ الريحِ في داخلي ما زالَ يناديكَ...

وأنتَ وحدكَ،

تسيرُ بثقلٍ من الجفاء،

وتتركني أرتجفُ تحتَ مطرٍ لا يتوقّف.

غِيابك

غيابك علّمني كيف يصبح الوقت بطيئًا،

وكيف تتحوّل الأيام إلى مرآةٍ صامتةٍ من الانتظار.

غيابك جعلني أكتب كثيرًا،

كأنني أستدعيك بالحروف التي لا تصل.

تعلمت أن الغياب ليس فقدًا،

بل امتدادٌ لحبٍّ لا يجد مكانه في الواقع.

فكتبت غيابك:

كلُّ ما فيكَ حياةٌ ...غيرُ غَيابِكَ،

سَهمُ موتٍ غارَ في أعماقِ بابِكَ.

أهوى ضياءَ العَينِ إن لاحَ سِناهُ،

مثلَ فجرٍ شقَّ ليلًا من سَحابِكَ.

وأذوبُ في نبراتِكَ العَذْبَةِ إذْ
تنثُرُ الروحَ رحيقًا من شَرابِكَ.

وأشمُّ في بسماتِكَ الفَجْرَ الذي
أزهَرَ العُمْرَ ...وأحيا في خِطابِكَ.

لكنَّ غيبَكَ ليلُ حُزنٍ قاتمٌ،
وبحرُ صمتٍ غاصَ في أعماقِ بابِكَ.

وصحارى شَوقٍ لا يَرويها المطر،
وموتُ قلبٍ ...نابضٍ في غَيْبَابِكَ .

شعور طويل المدى

هناك شعور طويل المدى،
يبقى رغم كل النهايات.
كأنه يرفض أن يموت حتى لو انطفأ كل شيء.
هو ذلك الحنين الهادئ،
الذي يتسلّل في اللحظات البسيطة،
ويذكّرك أنك عشت حبًّا لا يُنسى،
حتى لو لم يكتمل.

و لهذا أقول :

سيبقي ما بيننا ...ليس حباً..

و ليس معرفة عابرة .. و ليس صداقة ايضاً!!..

ما بيننا جنون عاقل ...و موج هادئ....

و نار باردة و إشيتاق لا يقاوم ...و لايمل!!

ما بيننا علاقة تجاوزت العتاب ....

و حرقت مراحل الشك و الخوف ..

فاقت جمال الصداقة ..

و تجاوزت جاذبية الحب .

ما بيننا شعور اكتشفناه و لم نضع له إسماً ...كمولود نحن أبواه!!

ما بيننا لا يقتله الإهمال .. ولا يحطمه الغياب ... هي معادلة يصعب علينا حلها ....

و يستحيل على الغرباء قراءة رموزها! ....

عنوانها الراحة و مكونها الأساسي العفوية!! ..

ما بيننا شعور طويل المدى ....

لم يكتب عليه تاريخ إنتهاء حتي لو فارقتنا الروح

الفصل الرابع: صمتُ الاعتراف

ليست كلُّ الحقائق تُقال، بعضها يُضاء دون صوت.

أعترفُ أنّني لم أتعافَ من كلِّ الطرقات القديمة،
وأن قلبي يحفظُ أسماءً لا أرغبُ أن ينساها،
ولكنّني أعترفُ أيضًا أن الحياةَ تمضي حين نوقّعُ هدنةً مع ما كان.

أعترفُ أنّني أقفُ طويلًا عند الكلمات قبل أن أنطقها،
وأنّ الصمتَ عندي ليس قلةَ حيلة، بل خيارُ من عرف ثمنَ الثرثرة.
وأنّ الحبّ حين يتخفّف من الادّعاء، يبقى منه جوهرٌ لا يخون.

أحيانًا نكتم خوفًا على الآخرين من ثقل الحقيقة،
وأحيانًا نكتم لأننا تعبنا من شرحٍ لا يُفهم.
هكذا يصير الصمتُ أصدقَ من التبرير،
ويغدو الاعترافُ الحقيقي أن نصمتَ عمّا لم يَعد يهمّ.

نلتقي دون لقاء

لا شأنَ للأحداثِ بما بيننا،

دع المكان و الشخوص

ولا شأن لِغيابِك أو حضورك أن يُغيّر ملامحَ الذاكرة.

أعرفُ عينيكَ ...لا تعرفان النسيان،

وأعرفُ قلبكَ ...لا نجاةَ لهُ منّي.

و أعرف أن قلبي ملكك

أُدركُ تمامًا أنك موجود،

كما أُدركُ صدق صوتك حين تنطقُ باسمي.

أعرفُ عمقَ وجودي فيك،

يعادلُ المراتِ التي سكنتُ فيها نفسي.

أعرفُنا ...كما تُعرَفُ الروحُ ظلَّها،

وأعرفُ أن حبَّنا لا يُقاسُ بوقتِ ولا بحضور أو غياب ولا حتى بالنسيان أو بالبعد و المسافات،

هذهِ المعرفةُ وحدها

كفيلةٌ أن تُبقيني مطمئنةً...معك و إليكَ.

نُمثّلُ البُعدَ ببراعة،

ونخفي الحنينَ كما يُخفى الجمرُ في الرماد،

نقاومُ انكسارَ النظرة،

ونُخفي ارتعاشةَ الشوقِ خلفَ اتّزانٍ كاذب.

كم مرّةٍ التقيتكَ .. وتجاهلتُ الرجفة،

كم مرّةٍ جلست أمامي ...فتناولتُ الصمتَ كقناع،

ونحنُ نعلمُ، دونَ أن نقول،

أن الحُبّ ما زالَ هنا،

يراقبنا من خلفِ المسافة،

ويأبى أن يموت.

أعرفُ أن بيني وبينكَ لفحة من روح،

تشبطت بحبنا رغم المسافة و العناد،

وأننا كلّما ادّعينا النسيان،

ازددنا رسوخًا في ذاكرةِ بعضنا.

فابْقَ كما أنتَ ...في الظلّ، في البعد، و في القرب و فيّ أنا ، داخل هذا القلب

وأنا سأبقى كما أنا ...أُحبّكَ بصمتٍ،

وأُقاومُكَ بهدوءٍ ،فأفشل و أعيد المحاولة

فأحبك أكثر

و الاحقك كلما قررت الاختفاء

كمن يختبئ من المعجزة ...وهو يعلمُ أنهُ جزءٌ منها.

إذًا اسمعْ خاتمتي عنّا...

إن انتهى الكلامُ، لن تنتهي الحكاية،

ولن ينطفئُ ما أضأتَهُ في روحي يومًا.

فلم تشعر روحي بغيرك !

و سأعود على وعدي كما حدثتك.

و سأبقى اللغةَ التي أتت لتذكُرَك،

ويبقى وجهُك في ذاكرةِ النور،

كأنَّ النهارَ لا يكتملُ إلّا بك.

حتى وان استمرت لعبة الإنكار على العالم،

و التي سرعان ما تنكشف

فقلوبَنا تفضحُنا بنبضةٍ زائدةٍ حينَ تمرُّ الذكرى.

و بسذاجة سنطمأن على بعضنا بعضاً

و نقسمُ بأننا تعافينا،

ثمّ ننهارُ عند أولِ لفته تُعيدُنا إلى البدء.

فليقلِ العالمُ ما يشاء،

وليبقَ حبُّنا سرًّا تقياً،

نخفيهِ في العيونِ كما يُخفى الوردُ في قلبِ المطر.

سنظلُّ، ما بقيَ فينا نبض،

نُجيدُ الصمتَ على هيئةِ حنين،

ونكتبُ الحبَّ ...دون أن نبوح،

ونلتقي، دون أن نلتقي.

لكني لن ابتعد و لن اوافق بعدك

ما حييت

إموت بقربك شوقا اليك

ولا أن أموت باحثة عنك لا أجدك

أعدك بأن اتقن الدور

لكن كن أمامي دوماً

فلا تبتعد عني ما حييت

لا أريد اكثر من سماع صوتك

رؤية تلك اللمعة في عينيك

و أن اشعر بك دوماً

نعم ما زلت أحبك

منذ ذاك العام

الذي تجهل

لم اتوقف لدقيقة عن حبك

انت بذاكرتي و بثنايا يومي و أدق التفاصيل

منذ ذاك الحين

أحبك

لست بخير دونك

لا أدري كيف تقبلنا تلك الفجوة بيننا، ولا لماذا سمحنا لأنفسنا أن نقسو بقرارات هكذا !

ربما أخطأت أنا بحقك، وربما تسببت لك بهذا ألالمٍ لكني والله لم أقصده أبدًا، أنت تعلم جيداً كم يوجعني وجعك،

وكيف ينهار فيَّ كل العالم إن رأيتك حزينًا.

ما كنت يومًا أطيق فكرة أن أراك مكسورًا، فكيف الآن.

كنت أتمنى أن أحتويك، أضمك، أن أكون لك مصدر الحنان والأمان، لا مصدر الحزن.

لم اعتقد انك بقربي ستذبل ، فأنا لا أحيا إلا بقربك!

أنت الوحيد الذي أتقاسم معه الهم، والوحيد الذي أخشى عليه من الأيام أكثر مما أخشى على نفسي.

سامحني، ما زالت أراك الوطن والرفيق والحلم الذي أقاتل لأجله،

وأؤمن أن وعدنا كان مقدسًا، وأنك تعلم أني أحفظ الوعود كما احفظ نبضك.

ما كنت أتمنى أن يمر بنا غياب، ولا أن أصل إلى لحظةٍ أقف فيها أمامك ممتلئة بكلماتٍ لا تُقال، و دموع لا ترى ، و صوت مخنوق.

لم أشأ أن أراك تمضي، آخذاً معك الجزء الأجمل مني، ولا أن أتعلم كيف أشيّعك وأنا ما زلتُ أتنفسك.

لم أرد أن تُنتزع الطمأنينة من قلبي كما تُنتزع أنت، في اللحظة ذاتها

شعوري صعب، لست بخير دونك !

فأتيت إليك، ولا يهمني بأي مسمى أو صورة!

زميلة، صديقة، عدوة

ما يهم انك أمامي كل يوم، و اني سأكبر بك !

لن يمضي هذا العمر دونك.

أتدرك هذا العشق !أترى هذا الجنون ، عن أي منطق أو عقل اسأل!؟

أنت تعلم جيداً انك الهدف الأهم، و أنك كنت و ما زلت و ستبقى داخلي مستعمرا اغلبي !

شعرت اني سأكون بخير، و رضيت بتلك الصورة

و لكن

قلبي يخبرني أنك لست بخير

و هروبك و قربك و حالتك !

لماذا!؟ ألست سعيداً بقربي؟ !

يبدو أن عالمنا متشابك !كيف أن تركي دونك أسهل عليك

من وجودي!؟

والآن خرجت من هنا ...أشعر أنني أختنق، كمن غرق في بحرٍ لا يرى شاطئًا.

أمثل القوة، لكن نظراتي تفضح انكساري.

يبكيني أننا انهزمنا مجددا.

يؤلمني أنك لم تدرك ما وراء عباراتي

لم ترى حجم وجعي ولا مكانك في قلبي

لم تفهم مغزى محاولاتي

أخبرتني أن كل الطرق نحوك أُغلقت، وكل الحيل نفدت.

تركتني أعيش وجع فقدك مجدداً وأنت تعلم أني لن أكون بخير،

كنت أتساءل كل ليلة :كيف تستطيع أن يذهب دون أن يلتفت إلي، ان كان يحبني كما قال؟

كيف استطعت أن تغادر وأنا أبحث عنك في الهواء الذي أتنفسه؟ أخبرني

كنت أراك الصواب حين يخطئ بي العالم،

كنت تبريري في وجه الجميع، وملاذي الأخير.

لم أضعك في كفةٍ مقابل العالم،

كنت أنت الكفتين معًا، والعالم كله خارج معادلتي.

فكيف لم تشعر أن ثمة خطأً ما؟

كيف لم تدرك كم أن غيابك أوجعني؟

أولم ترى صمتي الذي عم كل مكان ، فراغك الذي ملأني ؟

لكن، يا أملي و وجعي

ألا يمكن أن نغلق صفحة الألم هذه؟

أن ننسى ما كان، ونجلس كما كنا،

نتعانق ونُسكت في حضن بعضنا كل الكلام المؤجل،

نعد بأن لا نكرر البعد أبدًا،

ونلعن معًا الغياب، كما نلعن أي وقت كان يمكن أن يكون بيننا...؟

لماذا دائما تقول :

إما ان نكون او لا نكون !

لم اطلب اكثر من قربك

انا لست بخير بعدك !إلا يمكنني أن أنساك أو اتخطاك للحظة

، فكيف لعمر كامل ؟ !

كن معي بأي شكل ارجوك، لكن لا تحرمني منك

اسمع صمتي و افهم خطوتي

لماذا لا ترى؟

و لم حكمت علي أن اكون وجعك ؟

اكثر ما كسرني ، ان قربي زاد ألمك

و ألمي امامك يهون

أنت ما زلت الأهم

اهدأ ارجوك ، عد لنفسك

سأبتعد ان رأيتك مستمراً هكذا

و سأعتذر لأن خطوتي ما كانت إلا أملا في زيادة قربك

لا يهمني غيرك ولا أرغب بأي شيء

لا المكان ولا الزمان ولا الشخوص ولا حتى المال !

اتيتك انت ، وحدك أنت

كن بخير لأجلي

و كما أخبرتك بعيني قبل قليل ، و أعلم انك تفهمني

أحبك ،

فاهدأ

أو اتركني احمل ألمك

أو اطلب رحيلي لتبقى بخير

لك ما ترغب !

إلا أن يزول عشقك من هذا القلب

حاولت مراراً لكن

تسكنني روحك ليس الأمر بيدي.

انا التي

تسعدني خطوتك و احفظ صوتها و يتلهف قلبي لدخولك المكان ، و أعشق صدى صوتك كل يوم ، ولمعة عينك حين تنظر لعيني كل يوم وكأنك لا تصدق اني اتيتك !

تقتلني خسارتك

لكن حبيبي

لك ما ترغب

أعفيتك

أعفيتك من الوعود ومن الانتظار،

ومن أن تكون سببًا آخر لوجعي.

أعفيتك لأنّي فهمت أن البقاء لا يُطلب،

وأنّ الحب لا يتوسّل ليبقى.

أعفيتك من مسؤوليّةِ قلبي،

ومن ثِقَلِ وجودي في بالك.

وأعفيتُ نفسي من الأمل الذي يتغذّى على الوهم.

و بحرقة كتبت :

أعفيتُ قلبي منك، لا عُتبٌ يدومْ

لا صَوتَ يَسألُ :كيفَ يَخذلنا السّلومْ

سأكونُ مثلَ الطيفِ، إن جئتَ احتوَى

صدري خطاكَ، وإن غَفوتَ فلا ألومْ

لن أطرقَ الأبوابَ بعدُ، فموعدي

صارَ الرحيلَ، وصارَ صمتي لي يدومْ

أمضي كغيمٍ لا يُقِيمُ بداركمْ

إنْ مَرَّ ظلٌّ في الفضاءِ لهُ يَحومْ

أرعى تفاصيلَ الحياةِ بصَمتِها

وأخُبّئُ الشوقَ الذي أدمى العُيون

أُخفي اهتمامي، والحنينُ يُعيدُني
فالقلبُ مسجونٌ، وما يَغدو يَسومْ

لا أسألُ الأيامَ عن أسبابِها
لا لومَ بعدَ اليومِ، لا شَكوى تحوم
لن أذكرَ الآهاتَ، أو أُحصي الجِراحْ
فلقد كَفاني أن لي صبراً يدوم
سأظلُّ مثلَ النجمِ يُشرقُ نورهُ
من دونِ أن يُبدِي اقترابًا أو يدومْ
أمضي كضيفٍ عابرٍ لا حيلـةً
لي في المَقامِ، وما لقلبي أيّ لومْ
أعفيتُكَ منّي في احتياجي كُلّهِ
وأنا الذي بالعُمرِ أَحيا فيك دوم
أحتاجُ قُربَكَ، غير أنّكَ غائبٌ
فالصبرُ دَربٌ والرجاءُ لهُ نُجومْ
لكنَّ قلبي كلّما أعفيتُـهُ
عادَ التعلّقُ فيه يَزدادُ الهيومْ
هو عاشقٌ لا يستفيقُ من الهوى
ما بينَ صمتٍ أو وعودٍ لا تقومْ

أعاتب نفسي

وفجأة ...يأتيني ذلك السؤال الذي يزورني بعد كل وجع:

"لِمَ حاولت؟"

كنت أستطيع الرحيل منذ البداية،

وأُعفي نفسي من التعب والانكسار،

لكن حين أنظر إلى الوراء الآن،

أدرك أن لكل محاولةٍ معنى خفيًّا،

وأن كل وجعٍ كان درْسًا متخفيًا في هيئة خيبة.

علّمتني التجارب أن أختار نفسي أولًا،

أن أعرف متى أرحل بلا ندم،

تعلمت بأن ليس كلّ معركةٍ تستحق القتال،

ولا كلّ قلبٍ يستحق البقاء فيه.

لم يكن فشلًا، بل كان عبورًا نحو وعيٍ أعمق،

وجعٌ أنضجني، وصيّرني أكثر هدوءًا ونضجًا.

اختاروا أنفسكم دائمًا،

فكلُّ ألمٍ يسكنكم إنما يُعدّكم لنسخةٍ أقوى منكم،

نسخةٍ تعرف كيف تعيش ...بسلامٍ وكرامة.

سأتركك ترحل

سأتركك ترحل كما لو أنّك لم تأتِ، بهدوءٍ يليق بنهاياتٍ أنهكتها المحاولات.

لن أُمسك بك ولا سأستدعيك، فمن أراد البقاء لا يُغادر.

سأتركك تمضي خفيفًا من ذاكرتي، وسأمضي أنا مثقلةً بما تبقّى منك.

لكني انا :

ذهبتُ إليك ...لا لأراك فقط، بل لأحتمي قليلًا من غيابك

لربما ما كان يجب أن أخبرك عشقي ، لكني

أقنعتُ نفسي أن وجودي في نفس المكان ليس صدفة، بل ضرورة، و انه كان الخيار الأفضل !

و وثقت الكذب كحقيقة ، و اقنعت نفسي بمنطقها

وأن قلبي قادرٌ على التماسك مادمتُ أراك بخير.

مضى أسبوعان من النظر إليك و قد تعبت!!

كنتَ تبدو متعبًا ...تتظاهر بالثبات بينما يختبئ الحزن في ملامحك،

وما كنتُ أحتمل أن أراك على هذا الحال،

فقررتُ أن أقول ما كنتُ أؤجّله منذ زمن.

قلتُ لك كلّ ما في قلبي،

لا لأنني أردتُ إجابتك،

بل لأنّ الصمتَ أصبح خانقًا،

لك قبلي

ولأنني أردتُ أن أعرف نفسي بعد أن أثقلها الحنين.

كنت أهاب ما اراك فاعلاً لا محالة

كنتُ أعلم...

أنك حين تعرف مقدارك في قلبي ستتراجع بعيداً،

وستختار أن تحطّمني برفقٍ يشبه الرحمة،

ستغادر دون أن تصرخ،

ستترك لي الفراغ وأنتَ تظن أنك تنقذني من نفسي.

لكنّك لم تعلم أنني حين رأيتُ تعبك،

انهارَ كلّ دفاعٍ بُني داخلي،

وأن قلبي لم يكن يطلب سوى أن تبقى،

ولو كظلٍّ يمرّ في الممرّ نفسه،

يذكّرني أنني لم أخطئ حين أحببتك.

نعم لم أعد أهتم بما أريد و مما أخاف،

كان كل أملي أن تهدأ.

أعرف أنك سترحل،

ستتجاهل

و لربما سأصبح قصة ترويها كما رويتهم لي

و لن تراني كما كنت مسبقاً، سأنهي الفصل بيدي.

وأعرف أني سأراك تمضي بخطواتٍ هادئة كما تفعل دائمًا،

لكن هذه المرة...

لن أوقفك،

سأدعك تمضي،

وسأكتفي بأن قلبي، رغم كلّ شيء،

ما زال يعرف طريقك حتى بعد الفقد.

اعتراف لم يُقَل

هناك اعترافات تظلّ عالقة بين الحلق والقلب،

تُرهقنا دون أن تُقال.

أعترف أنّي أحببتك بصمتٍ لا يُقاس،

وأنّي تمنيتك بأكثر مما يحتمل الدعاء.

لكنّي أعترف أيضًا أنّي أستحق راحةً بعد كل هذا النزف.

بعض الاعترافات تُقال بالسكوت،

وبعضها لا تُقال أبدًا لأنها أجمل حين تُخفى.

و كإعتراف لم اقله بعد لقائاتنا الأولى :

لم تكن لي يومًا،

ومع ذلك كنت الأقرب إلى قلبي من بين الجميع.

لم يكن حضورك حضورًا عابرًا،

بل كان ظلًّا يسكنني حتى في غيابك،

وكان غيابك حضورًا لا يزول،

كأنك تركت في داخلي أثرًا لا يُمحى.

لا نتحدث،

لكن أصواتنا تلتقي في صمتٍ خفي،

وصداك يسكن أنفاسي كأن القلب ما زال يسمعك.

لا أشتاق إليك،

لكن شيئًا ما ينقصني على الدوام،

شيء يشبهك،

يشبه ضوءك حين يختفي ولا يزول دفؤه.

لم أركَ منذ زمن،

ومع ذلك ملامحك لا تغادر ذاكرتي،

كأنني عشتك عمرًا كاملًا في لحظة واحدة.

لستَ في قلبي،

لكن قلبي ما زال يدور حولك

ككوكبٍ تائهٍ نسيَ مداره.

وربما لا أحبك،

لكن فكرة كرهك تُرعبني،

كأنها موتي بصمتٍ لا يُعلن.

انتزع لقاؤك

انتزع لقاؤك منّي ما تبقّى من اتزاني.

كنتُ أظنّني قادرة على الثبات،

لكنّ رؤيتك جعلت الأرض تميد بي.

كيف للذاكرة أن تخون اتفاقها معي؟

كيف للحكاية أن تعود بكل تفاصيلها في لحظة؟

لقاؤك لم يكن صدفة،

بل كان امتحانًا جديدًا لشفائي الذي لم يكتمل.

فسامح إدماني عليك لأني :

كنتُ أُنازعُ فيكَ المكانَ لنلتقي،

أُزيحُ عن دربي الجهاتَ كلَّها،

وأُعيدُ ترتيبَ الخطواتِ كي تُفضي إليكَ.

وحينَ التقينا...

لم أُرِد لِلّحظةِ أن تُسلِّمَ نفسَها للوقت،

فنازعتُ فيكَ الزمانَ ليطول،

كأنَّ قلبي أرادَ أن يُقيمَ فيكَ دهراً،

ولو كانَ لقاؤُنا مجرّدَ ومضةٍ عابرة.

أعرفُ أنَّ العمرَ لا يُعيرُنا كثيراً من كرمِه،

لكنّني فيكَ طمعتُ بلحظةٍ

تتّسعُ لكلِّ ما فاتَ من انتظار.

كنتُ أُريدُ أن أقولَ شيئاً،

لكنّ عينيكَ سبقتاني،

وقالتا ما لم تستطعْهُ اللغة،

وما لم يبلغهُ الشعر،

وما لا يَسَعُهُ سوى الصمتِ بينَ قلبينِ التقيا أخيراً.

يا مَنْ نافستُ لأجلِكَ المكانَ والزمان،

ما زلتُ أُنازِعُ الصمتَ،

علَّهُ يمنحني صوتَكَ من جديد،

ولو للحظةٍ واحدة...

تُعيدُني إليكَ كلّي،

كما كنتُ أوّلَ مرّة.

حين تكلّم الصمت

حين تكلّم الصمت، قال كلّ ما عجزت الحروف عنه.

قال إنّ الحبّ لا ينتهي، بل يتحوّل،

وأنّ الفقد لا يُميت، بل يُنضج.

قال إنّنا لا ننسى، بل نتعلم أن نحمل الذاكرة بأقل وجع.

وحين تكلّم الصمت، فهمت أنّ الصبر ليس نسيانًا،

بل طريقة أخرى للبقاء دون أن ننهار.

ذات لقاء :

قالت له بصوتٍ خافتٍ يتسرّب من وجعٍ قديم:

. لكنك لم تخبرني أنك متعب...

رفع نظره إليها، وفي عينيه ظلّ رجلٍ أنهكته الحرب مع نفسه،

وقال بصوتٍ متهدّجٍ، يحمل ثِقَل الرجولة حين تضعف دون أن تنهزم:

. بلى ...لقد قلت.

لكنني لم أقلها بالكلمات.

قلتُها حين صرت أنام نهارًا كاملًا كأنّي أهرب من نفسي،

حين تركتُ الأشياء التي كانت تهمّني تموت واحدةً تلو الأخرى.

حين صار الليل يعيش تحت عينيّ،

وحين صار وجهي يعرف التعب أكثر مما يعرف الضحك.

أنا تكلّمت حين سكت صوتي،

وحين ابتعدت، فلم أعد أطلب شيئًا من أحد.

كنتُ أصرخ بطريقتي،

لكن دون أن يسمعني أحد.

فالرجال حين يتعبون لا يصرخون يا صغيرتي،

بل يتحوّلون إلى خرابٍ صامتٍ يمشي على قدمين،

يضحكون كما لو أنهم بخير،

وفي داخلهم شيءٌ يموت ببطء.

تقدّمت نحوه بخوفٍ يشبه الرجاء وقالت:

. ما تأخر الكلام ...أنا الآن سامعتك.

ابتسم بمرارةٍ موجعةٍ، وقال وهو يُشيح بنظره عنها:

. لا تسمعيني، فالآن لا جدوى من السماع.

أنا ما عدت أملك حيلة،

وما بقي فيّ من القوّة إلا ما يكفيني لأرحل.

أنتِ لستِ لي،

وربما لم تكوني لي يومًا.

الغياب هو القوّة الوحيدة التي ما زالت تسكنني،

الشيء الوحيد الذي أملكه تمامًا.

سكت لحظة، وكأن الكلام نفسه أثقله أكثر،

ثم تابع بصوتٍ مبحوحٍ:

. حين يطول الليل ...أفعل كل شيءٍ لأجعله يمرّ دون أن أفكّر.

أفتح هاتفي، أُدخّن وجعي، اثمل حبك و هم السنون !

أضحك بلا سبب، وأتظاهر بأنني بخير.

لكنّي لست بخير.

فأعظم الرجال فيّ قد انكسر،

ولا شيء يعيد قوته سوى الغياب.

ظلّت تنظر إليه بصمتٍ ثقيل،

تراه أمامها، لكن ملامحه تشبه الراحلين.

عيناه لا تنظران إليها، بل إلى شيءٍ أبعد ...إلى وداعٍ بلا طريقٍ للعودة.

قالت بارتجافٍ خفيف:

. إن كنتَ لستَ لي، فلماذا التقينا ؟

لم يُجبها.

فقط ابتسم بتعبٍ يشبه الوداع،

وقال بصوتٍ بالكاد يسُمع:

. ربما كنتِ لي لحظة ...لكن اللحظة انتهت،

ولستُ قادرًا على قتال زمنٍ لا يسمعنا.

ثم خطا خطوةً للخلف،

كأن كلّ خطوةٍ تقتلع جزءًا من روحه،

وأدار ظهره ومضى ببطءٍ يشبه انطفاء ضوءٍ كان بيتها.

وقفت هي مكانها،

تراقب ظلّه يبتعد حتى ابتلعته العتمة،

وقالت في سرّها:

رحل، لكنه سيبقى في قلبي رجلاً أعظم من كل الرجال،

رجلاً انكسر،

وترك فيّ صمته شاهدًا على كل ما لم يُقل.

هُنتَ عليكِّ مجددًا

هُنتَ عليكِّ مجددًا حين اخترت الصمت بدل السؤال،

وحين وجدت نفسك قادرًا على المضي دون أن تلتفت.

ما عدتَ وجعي، صرتَ درسي.

تعلمت أنّ الكرامة حين تُهان،

تُعيد ترتيب كلّ الحكاية من جديد.

و لهذا كتبت :

و يهون عليك وعليّ مجدداً

كأن ما جمعنا لم يكن سوى ظلٍّ عابرٍ على جدار الوقت .تعود لترسم حدودك فوق قلبي

وتعيد تشكيل ألمي

كما لو كنتَ تنحت وجعي بإتقانٍ متعمّد.

كيف استطعت أن تتقن الغياب هكذا؟

أن تمحو دفءَ الوجود بكلمة، وتتركني أُرمّم نفسي من شظايا حضورك؟

كنتَ الوطنَ، ثم صرتَ الغربةَ

وأنا ما زلت أعيش بينهما، لا أستطيع نسيان أحدهما دون أن أفقد الآخر.

تقول الأمور تعود كما كانت،

لكنّها لا تعود،

فالأشياء التي انكسرت فينا لا تُرمَّم بالكلمات،

ولا تعود القلوب كما كانت بعد أن عرفت طعم الانطفاء.

وحدي الآن أستعيد ملامحك في صمتٍ،

أحاول أن أُقنع قلبي أن الألم جزء من الشفاء،

لكنّه لا يصدقني،

فكلما حاول النسيان،

عاد إليك بخطوةٍ خجولة،

كما لو أنّ الحنين إليك

مرضٌ لا يشفاء منه أبداً.

توقيت

لكلّ شيءٍ توقيت،

حتى الانكسار له موعدٌ لا يتقدّم ولا يتأخّر.

جئتَ في الوقت الخطأ،

وغادرتَ في الوقت الذي كنتَ فيه كل شيء.

لكنّي أدركت متأخرًا أن اللقاء لم يكن صدفة،

بل درسًا كُتب عليّ و لربما لتموت في المشاعر او لسبب اجهله بعد !

و لكن رغم التوقيت :

دعني فقط ...أُحبّك.

لا أريد وعدًا، ولا نهاية تُشبه النهايات.

أريد فقط أن أترك لقلبي حقّه فيك،

أن ينحني نحوك كلّما مرّ طيفك بخاطري،

أن أراك كما يشتهي القلب، لا كما يسمح الواقع.

هناك حبّ يأتي حين يظنّ القلب أنّه انتهى من الانتظار،

حبّ يتأخر حتى نظنّ أنّ الطريق نسيَنا،

ثم يفاجئنا ...كأنّه كان يعرف طريقه منذ الأزل.

وهكذا كنتَ أنت — حين جئتَ، شعرتُ أن كل نبضةٍ كانت لك،

أن كلّ خفقةٍ كانت تحفظ اسمك دون أن تدري.

يقولون إنّ لكلّ حدث سببًا،

لكن حبّك كان الشيء الوحيد الذي لا تفسير له.

وقعَ فيّ دون نية، تجاوز دفاعاتي دون إذن،

كسر صمتي، وأقام في قلبي وطنًا بلا شروط.

كيف حدث ذلك؟ لا أدري...

كلّ ما أعلمه أنّني منذ عرفتك،

صرتُ أُحبّ نفسي أكثر، فقط لأنك مررتَ بها.

أيّ رفاهية أعظم من أن يأتيك الحُبّ من تلقاء نفسه؟

أن يختارك القدر دون سؤال،

أن يُلقي بك في عينٍ كنت تنتظرها دون أن تعرف.

من بين كلّ لذّات الدنيا،

لم يخلق الله نعمة تُضاهي أن يحبّك شخص بصدق،

بلا شرط، بلا منطق، بلا نفعٍ يُراد ...فقط لأنّك أنت.

ولذلك — ولألف سببٍ آخر—

أنت أجمل ما حدث لي.

قبلك، كانت الحياة تمشي بي، لا معي.

كنتُ أظنّ أنني أعيش،

حتى جئتَ أنت، وعلّمتني الفرق بين الحياة وبين الوجود.

كنتَ البداية التي أنقذتني من العادي،

والدهشة التي جعلتني أرى نفسي من جديد.

واعلم...

قد لا تكون لي في النهاية،

لكن من قال إنّ الحبّ يحتاج ملكيّة؟

أنا لا أطلب منك شيئًا سوى أن تتركني أُحبّك.

أن تسمح لي أن أراك في خيالي كما أريد،

حتى وإن كنتَ في واقعك مع غيري.

سيبقى اسمك محفورًا في قلبي،

على ذمّتي أنا، ما حييت.

فقط ...دعني أُحبّك.

كما أنا، كما أنت، كما شاء القدر ...دون وعدٍ، دون ندم.

الحب في زمننا

أن أُحبك هنا...

يعني أن أزرع وردة في صحراء،

وأن أُخفي عطرها حتى لا تكتشفه الريح.

يعني أن أُمسك قلبك بيدٍ مرتجفة،

وأُخبّئه تحت معطفي

خشيةَ أن تلتقطه عيونٌ أرهقها الجفاف.

في هذا العالم،

الحب طائر مهدّد بالانقراض،

يطير في الظلام حتى لا يُصطاد،

والعناق فعلٌ يشبه الخيانة،

والبوح ...إعلان حرب.

هنا، الشوق يهمس بدل أن يصرخ،

والبكاء يتوارى خلف الابتسامات،

والأسماء الجميلة تُمحى من الذاكرة العامة

لتبقى سرًا في دفاترنا السرية.

يا حبيبي...

لم تُخلق قلوبنا لتزحف في الظل،

لكنهم أقنعونا أن الضوء خيانة،

وأن الحب جريمة لا تُرتكب إلا في الخفاء.

لهذا ...كلما أحببتك،

شعرت أنني أخوض حربًا مقدّسة،

ضد زمنٍ لا يؤمن إلا بالقيود..

بداية جديدة

أحيانًا نحتاج لبداية جديدة لا تشبه أيّ بدايةٍ سابقة،

نحتاج أن نمحو ما علق بالذاكرة من وجع،

ونعيد كتابة أنفسنا كما لو أننا نلتقي بها لأول مرة.

ليست كل النهايات خسارات،

بعضها تحرّر من قيدٍ لم نكن ندرك ثِقله.

أحيانًا تكون البداية الحقيقية هي بعد أكثر الوداعات وجعًا.

لكنني فشلت مراراً بإنهاء قصتنا !

فحاورت قلبي لاقنعه :

أرجوك يا قلبي

اهدأ قليلًا،

كفّ عن النبض له كلّما مرّ طيفه في بالك،

أو خطى أمامك

كفّ عن إعادة المشهد نفسه،

عن تذكّر التفاصيل التي تُوجعك ولا تُعيد شيئًا.

بكامل وعينا رحل،

وما عاد في عودته وعدٌ،

ولا في بقائه أمل.

فلماذا تُرهق نفسك بالانتظار؟

تعال نُحبّ الهدوء كما أحببناه،

نحتمي بالسكينة بدل اللهفة،

نختار السلام بدل الرجوع،

ونؤمن أن الفقد لا يعني النهاية

بل بدايةً مختلفة للحياة.

أرجوك يا قلبي،

تعلّم النسيان كما يتعلّم الطفل المشي،

بخطواتٍ صغيرةٍ،

مؤلمةٍ أحيانًا،

لكنها تمضي ...وتمضي ...حتى تُشفى.

وإن نسيتَ،

فلا تنسَ أنّي أحببتُ بصدق،

لكنّ الحب لا يكفي دائمًا،

وأنا ...أستحق أن أعيش بعدها كما لو أنّي لم أنكسر يومًا.

أشبهتني؟

أشبهتني حين أحببت،
وأشبهتني حين خفت،
لكنّك لم تُشبهني حين قرّرت الرحيل.
أنا التي بقيتُ أفتّش عن سببٍ يشبهك،
وأنتَ الذي وجدتَ ألف سببٍ كي تغيب.
أشبهتني في البداية،
واختلفتَ عني في النهاية.

فخطت يداي :

قلتُ" :أشبَهتَني"، وما قصدتُ ملامحًا
فأنا المسافرةُ التي في وجهِكَ ارتحالْ

أنتَ الذي سَكَنَ الجنونُ فؤادَهُ
وغدا بعيدًا عن حكيمٍ أو جدالْ

جمعَتْنا نارٌ لا تُطاوِعُ عاقلًا
حُبٌّ تُهابهُ كلُّ أشرعةِ الرِّحالْ

ما كانَ سرُّ الفتنةِ الوقْعَ بها

لكنْ، بقاءُكَ — رغمَ كُلِّهمُ — مُحالْ

رغمَ العشيرةِ، والقيودِ، ومَوطنٍ
رغمَ المسافةِ، والفُصولِ، والإبدالْ

رغمَ انحناءِ الحُبِّ تحتَ قسوةٍ
كنَّا كما شِئتَ — التفرُّدُ لا يُنالْ

لا نحنُ من طينِ الشّبيهِ ولا الهوى
خُلِقَتْ خطانا خارجَ الزمنِ المُسالْ

ما أخفيه

ما أخفيه عنك ليس كرهًا، بل خوف.
أخاف أن أضعف إن رأيتك.
أخاف أن تعود الكلمات القديمة لتغويني من جديد.
أخفيك لأنّي أحببتك بصدقٍ لا أحتمله بعد الآن.
أخفيك لأنّ نسيانك أصبح طريقتي في البقاء على قيد الحياة، و فيه موتي يكتمل.

لربما ستفهمني إن قرأت هذا :

على حافة الاعتراف...

أستطيع أن أعيشكِ ألف عمر، مختبئة خلف ستار الصمت، دون أن تفرّ من شفتي كلمة.

أستطيع أن أكون إلى جواركِ، وأن أنسج بيننا فراغاً بارداً لا يخترقه أحد،

وأن اخفي نيران قلبي حتى عنكِ، إن فرضت اللعبة ذلك.

لكن ...ما إن تلتقي عيناكِ بعيني، أو يمرّ اسمي بين شفتيكِ،

أو يتسلل عبيركِ بجانب روحي، ولو في وهمٍ عابر...

حتى تتهاوى كل دفاعاتي.

تلك اللحظة، حين تذوب الحدود بيننا،

أجدني واقفة معكِ على حافة البوح،

أميل ...وأكاد أهوى بكِ إلى قاع بلا رجعة.

من أصعب المشاعر

من أصعب المشاعر أن تتمنّى لأحدهم السعادة،

وأنتَ تدرك أنّك لم تعُد جزءًا منها.

أن تراهم يكملون طريقهم بينما تقف عند حافة الذكرى.

أن تعرف أنّك كنتَ جميلًا في الحكاية،

لكن الوقت لم يكن رحيمًا بكما.

من أصعب المشاعر أن تفهم متأخرًا أن الحبّ ليس كافيًا !!

من أصعب المشاعر التي تمر عليك بعدها

هو إنحصارك ما بين شعور الإحتياج و المكابرة

شعورك بالإحتياج للفضفضة بما يرهقك في الخفاء

و مكابرة البوح ، التي تصنعها هيبة الصمت و الكبرياء

إحتياج المساعدة في أشد لحظات الغرق

و مكابرة مد اليد، لطلب قارب نجاة من أحد

إحتياج الإتكاء و رفاهية البكاء

و عض أصابع الندم

و مكابرة ملامح إعتادت على القوة

و شموخ عدم إظهار الألم

إحتياجك لتتنفس أكسجين الأمان

و مكابرة الخروج من عنق دائرة مغلقة

ملتفة بغبار الخوف و فقدان الثقة

لربما كتبت كثيراً

لكن كل ما بالأمر

احتاجك ! ليس إلا !!

عهد صداقة

نعم أصدقاء

يتقاسمون أسرارهم الصغيرة، يخبر أحدنا الآخر عن خوفه، عن عيوبه، عن تفاصيل يومه التي لا يراها أحد سواه ...لكننا رغم ذلك، نبقى" أصدقاء"، لا أكثر!

ما رأيك أن نغار على بعضنا، دون أن نعترف بأننا نغار؟

أن نحاسب بعضنا كالعشّاق، ونبرر ذلك بأننا فقط نهتم كأصدقاء!

أن نحافظ على مبادئ الحب في ثوب الصداقة، فنبدو متّزنين أمام الجميع، بينما قلوبنا ترتجف في الخفاء.

ما رأيك أن تبقى أنت الوحيد في دائرتي، وأنا وحدي في عالمك، ومع ذلك ...لا شيء بيننا سوى" الصداقة!"

ما رأيك أن أخبرك أن عينيك تسرقان روحي، وأن ضحكتك تُزهر جرحي، وأن حتى نكدك يزيدك جمالًا؟

لكن لا تقلق، سأقولها كما تقولها" صديقة."

ما رأيك أن لا تلمس يدي، ولا ألمس يدك،

أن لا نجلس وحدنا أبدًا، أن نحافظ على تلك الحدود الهشّة،

ونقنع أنفسنا أننا أصدقاء ...فقط أصدقاء!

ما رأيك أن تشاركني لحظاتك الكبيرة، وأشاركك وجعي وفرحي؟

أن تبكيني بصدقك، وأُفرحك بابتسامتي،

ثم نعود فنؤكد أن كل ذلك لا يتجاوز حدود الصداقة!

ما رأيك أن نتبادل كلمات الغزل دون أن نقول" أحبك"،

أن نستبدلها بـ" أنا معك ...إلى أن ينتهي عمري"،

ونقنع قلوبنا أن هذا يكفي؟

ما رأيك أن تمرّ عليك أيامي فتشعر بالتعب إن غبتُ عنها،

وأن أشعر أنا بالوحشة في غيابك،

لكن دعنا لا نكون حبيبين ...لنقل فقط إننا أصدقاء!

ما رأيك أن نشتاق، لكن لا نعانق؟

أن نذوب حين نلتقي، ثم نتظاهر بأننا ثابتون؟

ما رأيك أن نبقى كذلك...

أصدقاء، لا أكثر؟

حين يطول الليل

حين يطول الليل، يعلو صوت الذاكرة.

يستيقظ كلّ ما ظننته انتهى،

ويجلس على سرير القلب كضيفٍ ثقيلٍ لا يرحل.

أحاول أن أنام على وسادةٍ من النسيان،

لكنّ الحنين يعرف طريقي دائمًا.

أغمض عينيّ،

فأراك كما كنت :هادئًا، غائبًا، وأبديًّا.

و هنا اضع راسي على صدرك

لأشكو إليك قسوتك ..و اغفو بأمان

الفصل الخامس :صمتُ السلام

السلامُ ليس صمتًا خارجيًا؛ إنّه تصالحُ الداخل مع ظلاله.

السلامُ ليس وعدًا خارجيًا؛ بل ترتيبٌ داخليٌّ للأولويات:

أن أختار نفسي دون أن أؤذي أحدا ،

وأن أتركَ ما يؤذيني دون أن أكرهه !

أن أسندَ رأسي إلى كتفِ القدر وأقول :فهمتُ الدرس.

ما بيننا :النص الهاديء الأخير

ما بيننا لم يمت، لكن تغيّر شكله.

صار امتناننا بدل الاشتياق، وذكرى بدل الانتظار.

تعافى القلب حين أدرك أن الحبّ لا يُقاس بالبقاء،

بل بالصدق في لحظةٍ واحدةٍ عشناها سويا بكل جوانحنا.

ما بيننا علّمني أن أفقد دون أن أنهار، وأنّ النهاية ليست ضدّ الحُبّ،

بل أحيانًا هي رحمته الأخيرة !!

و كان ما عشناه جميلا :

ما بيننا ليس شيئًا يسهل تصنيفه،

ليس حبًا تقليديًا يضج بالوعود،

ولا صداقةً تنحصر في حدود الكلام والمواساة.

هو مساحة سرّية نعيشها نحن وحدنا،

لغة لا يتقنها سوانا،

ونسخة من الجنون الناضج الذي يبتسم في صمت.

هو دفء بلا لهب، وهدوء بلا ملل،

ومدٌّ وجزر لا يرهقان القلب.

علاقتنا تجاوزت مراحل الظن والحذر،

وألغت فكرة الحسابات الصغيرة،

هي أوسع من الصداقة ...وأعمق من الحب،

تسكنها الراحة وتتنفس العفوية.

لا يخدشها الغياب، ولا تذبلها الأيام،

شعور ممتد بلا زمن،

لا يَعِد بـ"إلى الأبد "ولا يلوّح بـ"النهاية"،

إنه حكاية بلا عنوان...

لكنها الحكاية الوحيدة التي نصدقها وحدنا !

وطني

وطني ليس مكانًا،

إنّه لحظة أمانٍ أجدها في داخلي بعد عاصفةٍ طويلة.

وطني تلك المساحة التي أكون فيها صادقةً مع نفسي،

بعيدةً عن الحنين والخذلان.

وطني صمتي، وكتبي، وما تبقّى منّي بعد وجع تجربةٍ مرّت فقتلت لي قلبا ، حاولت احياءه !

و انا لطالما طلبت منك مرارا:

أن لا تدع الريحَ تسرقني من دفءِ عينيك،

ولا تدعني أضيعُ في ليلٍ لا تعرفه أنفاسُك.

إذا أثقلَني التعب، كن ظلّي،

وإذا بَعُدتُ، نادِني باسمٍ لا يعرفه سواك.

أشتهي منكَ فجرًا يوقظ قلبي،

ويغلق أبواب الوحشة خلفي،

فما عدتُ أجد في العالم ضوءًا إلا حين تقترب.

يكفيني منك نظرةٌ واحدة،

تُعيد ترتيب فوضاي،

وتجعلني أصدق أن الطمأنينة تُولدُ من عينيك.

لا تتغيّر، أرجوك،

ابقَ كما أنت — كما أحببتك أول مرة،

دافئًا، صادقًا، لا يشبهك أحد.

لا تسمح للبُعد أن يصنع بيننا غيابًا،

ولا تدع الأيام تُبهت ملامح حضورك في قلبي.

فأنتَ بدايةُ الأشياء ونهايتُها،

أنتَ سكوني في العاصفة،

وصوتي حين يصمتُ الكون.

أنتَ المرفأ الذي لجأتُ إليه بكل خوفي،

والوطنُ الذي لم أُولد فيه ...لكنني وُجدتُ فيه من جديد.

أمل الختام " هي"

هي التي مرّت كنسمةٍ في صيفٍ خانق،

لم تعد كما كانت، لكنها ما زالت جميلة.

تعلمت من الخسارة أن لا تتمسّك إلا بما يشبه روحك.

هي التي وجدت في الصمت رفقة،

وفي الوحدة سكينة،

وفي الغياب نورًا صغيرًا يقودها إلى ذاتها.

ظل بلا ملامح

الذين أحببناهم صاروا ظلالًا بلا ملامح،

يمرّون دوماً في الذاكرة تاركين وجعًا كبيرا.

اعلم أنّ القلب يغفر لهم ولنا.

و أن الغياب لا يُمحى، و لا يهون

و أن أثره أقسى من كل ما تخيلنا.

وظلّهم الذي يؤلمنا،

موشومٍ على ناصية القلب،

يذكّرنا أنّنا كنّا أحياءً يومًا

بجانبهم !

و تمر السنين :

مرّت السنوات ...ومرّ العمر بين ما كان وما تمنّيت،

لكن شيئًا في داخلي ما زال يراك بذات النقاء،

كأن الوقت لم يُعلّمني كيف أتخلّى،

وكأن قلبي لا يجيد إلّا أن ينتظرك.

ما زلتَ تسكنني، وإن كنتَ بعيدًا.

أراك في ملامح الأيام، في وجوهٍ عابرة،

في نغمةِ أغنيةٍ قديمةٍ تُعيدني إليكَ دون قصد.

تعلم؟ لم أعد أكتب كثيرًا كما كنت،

لكنّ اسمك ما زال يُكتب بين السطور،

يتسلّل من دون أن أدعوه،

كعادة الحنين حين يزورني بصمتٍ في آخر الليل.

لم أعد ألومك،

ولا أعاتب غيابك،

فقد أدركتُ أن بعض القلوب تُحبُّ مرةً واحدةً فقط،

ثم تبقى على العهد إلى أن تنتهي الدُنيا.

قد تغيّر كل شيء من حولي،

لكن شيئًا واحدًا بقي كما هو...

ذاك الشعور الدافئ حين أذكرك،

وذلك الخفقان الخفيف الذي لا يخونني كلما مرّ طيفك في خيالي.

لن أكتب لك أن تعود،

فبعض الحضور لا يحتاج إلى جسد،

يكفي أن تظلّ كما أنت...

تسكنني،

كما كنتَ دائمًا...

حكايتي التي لا تُنسى.

أنزف ألمك

من المُتعِب جدًا أن أستمر بإقناع الطبيب أنني لا أفتقر الدم، بل أفتقرك أنت...

أنّ نبضي المتعب ليس مرضًا عضويًا، بل ارتباكًا يحدُث كلّما حاولتُ تذكّر ملامحك دون أن تنكسر في داخلي صورتك.

أحاول أن اشرح لهم ، أنه ليس نقصاً بالهيموغلوبين، بل بالحنين.

و أنّ كلّ خليةٍ في دمي فقدت معناها و حبها للحياة بفقدانك.

من المؤسف جدًا أن يعجز الطبّ عن علاج ما خلّفه حضورك فيّ، وأن أعجز أنا عنك، رغم كل ما جرّبته من فِكرٍ، وإرادةٍ، وصبرٍ، ونسيانٍ قسريّ.

أعجز عنك كما يعجز الجرح عن إغلاق نفسه، وكأنّ كلّ مرةٍ أتنفّسك فيها كانت جرعةً زائدةً من الحياة، تركت آثارها بي إلى الأبد.

هل تعرف ما الأدهى؟

أنني بدأت أشتاق حتى لألمي منك، كأنّ الحزن بك هو آخر ما تبقّى لي من الشعور بالحياة.

وأنّ كلّ محاولاتي للشفاء ليست سوى طريقةٍ جديدةٍ لأكتبك من جديد، في وصفةٍ لا يقرؤها أحد غيري.

...أكتبك كما يكتب الطبيب وصفةً يائسة، لكنّي أعلم أنّ لا دواء يشبهك، ولا شفاء يشبه نسيانك.

فكيف يُعالج الطبّ من فقدَ دمه، لكن نزفَه كان من القلب؟

وكيف أُقنع العالم أنني لا أحتاج علاجًا، بل لقاءً واحدًا منك ...يُعيد الحياة إلى كلّ ما مات بي؟

أعلم ان كلامي غير منطقي ، لكن قيل منذ الأزل ، أن

جميع الأمراض سببها نفسي ،

وانت تعلم كيف حالي دونك !

دعني احتويك

أريد أن أضمّك إلى صدري،

أن أُسكِت فيكَ ذلك الاضطراب الذي يسكن ملامحك،

أن أُقنع العالمَ كلّه بأنّك بخير، فقط لأنّك بين ذراعي.

كأنّ قلبي يعرف متى يختنق قلبُك،

ومتى تضيقُ بكَ الدنيا، فيضيقُ بي معها،

كأنّ فينا حبلًا خفيًّا يشدّ أحدَنا إلى الآخر كلّما ابتعد.

كلّما رأيتُ الحزنَ يلمعُ في عينيك،

ينكسرُ في داخلي شيءٌ لا يُرمَّم،

وأشعرُ أنّ وجعكَ يسكنني كما يسكنُ ظلُّ المساء نوافذَ البيوت.

أتنفّسُ حُزنك دون أن أشعر،

وأحمله في صدري كأنه وديعتي منك.

لا أريد منك إلا أن تتركني أكونَ مأواكَ،

أن أُزيل عنك التعبَ بنظرةٍ،

وأُطفئَ وجعكَ بلمسةٍ،

أن أكون دفءَ هذا العالم حين يبردُ فيك كلُّ شيء،

وسلامَك حين يهربُ منك السلام.

لم أتمنَّ سعادةَ أحدٍ كما تمنّيتُها لك،

ولا بكيتُ غيابًا كما بكيتُك،

فأنتَ لستَ عابرًا في أيامي،

بل الامتدادُ الهادئُ الذي علّمني أن الحبَّ لا يُقال،

بل يُعاش ...عن الآخر، ومن أجله، وفيه.

تعال...

ضع رأسك على كتفي،

ودعني أشاركك ثِقَل الحزنِ كما أشاركك النبض.

وإن لم نجد الكلمات، سنصمتُ معًا،

سنترك الدموعَ تتكلّمُ عنّا كما تشاء.

فقط دعني أحتويك،

كما لو أني خُلقتُ لأجلك،

لأكون وطنَك حين تتبعثر،

وسكناكَ حين يضيعُ الطريق،

وصوتَ الطمأنينةِ في صدرك ...حين يسكتُ كلُّ شيء.

حين تكلم الصمت

حين تكلّم الصمت هذه المرّة، لم يكن وجعًا.

كان حنينًا رقيقًا بلا دموع،

وشكرًا صامتًا لكلّ ما حدث.

قال لي :لقد فهمتِ الدرس،

و كل محاولاته بالابتعاد

فلا عتب بعد الآن، ولا انتظار.

لقد صرتِ أكثر هدوءًا،

وأقرب إلى نفسك مما كنتِ في أي وقتٍ مضى.

و عليه بدأت أفكر ، اني أهنت نفسي بالتعلق!

حاسبت نفسي

هل كان ذنبي أن قلبي صدّق قربك؟

أنني أردت أن أكون كما أنا، بلا حذرٍ، بلا أقنعة؟

هل كان عليَّ أن أترك بيننا مساحةً باردة، كما أفعل مع الآخرين؟

أن أُخفي عنك ما لا أُظهره لأحد،

ولا أُخبرك بتلك التفاصيل الصغيرة التي لا يراها سواك؟

اقتربتُ منك كمن يركض نحو الأمان،

نسيتُ أن القرب أحيانًا مؤلمٌ أكثر من البعد،

تجاوزتُ المسافات، والحدود، والحيطة،

وتركتُ نفسي تسير إليك دون عودة.

ربما كان عليَّ أن أستعدّ ليومٍ كهذا،

أن أُبقي شيئًا من نفسي لي،

لكنني – كعادتي – لم أفعل.

ينسحبُ منّي بكاملِ قوّتِه

يهربُ من قلبي وكأنّ بيننا حربًا لا هدنةَ فيها،

يكابرُ وكأنّ الكبرياء خلاصُه الوحيد،

معلناً النهاية!!

قلبي الذي صدّق الوهم، واحتضن الغياب كأنهُ حُضور،

الذي ما زال يبرّر له، ويصنع له الأعذار من رمادِ الصبر،

قلبي الذي خُذلَ ولم يتعلّم ...ما زال يفتّشُ عنه في التفاصيل الصغيرة،

في الأغاني القديمة، في الرسائل التي لم تُرسل،

في النبض الذي يرتبك كلّما تذكّر صوته.

أشعرُ أنّني أنهارُ بصمتٍ،

أنّ روحي تسيرُ عكس اتجاه النسيان،

أحاول أن أبدو بخير، لكن شيئًا منّي يذوبُ كلّ يوم،

شيئًا منّي يصرخُ باسمه ...حتى وأنا أحاولُ نسيانه.

لا أُريده أن يعود، ولا أحتمل فكرةَ أنّه مضى،

كلّ ما أريده أن يهدأ قلبي قليلًا...

أن يصدّق أنّ الحبَّ لا ينهزمُ،

بل نحنُ من نهزمُ أنفسَنا حين نُحبّ أكثر مما يُحتمل.

في الختام، لا أريدُ إلّا هذا:

قلبٌ هادئٌ يتّسع لخطواتي،

وصمتٌ يلمُّ شتاتي،

ونورٌ صغيرٌ يكفي كي أواصل.

و رجائي دون صوت

أحيانًا يشبه الصمت صلاة تخرج من القلب لا من الشفاه،

رجاءً يعلو إلى السماء بصمتٍ عميق،

كأنك تقول لله دون كلمات :أعد إليَّ مَن به تكتمل روحي.

ليس لأن الغياب مؤلم فحسب،

بل لأن الحضور به كانت للحياة نغمة أخرى، وطمأنينة لم تُعد كما كانت.

تغمض عينيك فتمرّ أنفاسه بين الذكرى والهواء،

تسكنك نبرته، ظلّ حضوره، رائحة الأمان التي تركها فيك.

فالشوق لا يُقاس بخطواتٍ ولا بأميال،

بل بذلك الوجع الهادئ الذي يوقظك ليلًا،

ليجعل اسمه أول ما تنطقه روحك دون إذنٍ منك،

كأنها صلاة الحب الأخيرة،

تتلى خوفًا من أن يضيع الأثر، أو يبهت النور الذي شكله.

أخيرا و ليس آخرا كما يقال

عزيزي المقصود بكل ما كتبت

لا أعلم كيف تسلّلت تلك الفجوة داخلنا،

ولا كيف صار البُعد مطلبنا،

ولا لِمَ نقسو على قلوبِنا التي لم تُخلق لتلتقي.

كأننا نُعاقب أنفسنا لأننا أحببنا دون أن نقصد.

أعرفُ أنني ربما جرحتك دون قصد،

سامحني !

وحده الله يعلم ...ما كان وجعُك يومًا قصدي.

تعرفني جيّدًا، لا أطيق رؤيةَ حزنك،

يكفيني أن أرى ظلال الحزن في عينيك لأختنق،

يكفيني أن تبهتَ نظرتك لأشعرَ بوخزٍ في روحي،

فأهمسُ لنفسي" :قلبك له ...ولو أراد فداءً، لكان."

كنتَ الوحيد الذي أحببتُ أن أحمل عنه همَّه،

الوحيد الذي خفتُ عليه من قسوة الحياة،

الوحيد الذي تمنّيتُ أن يشاركني كلّ تفاصيلي الصغيرة،

أن يكون الأمان الذي أواجه به العالم كلّ صباح.

و يهمس لي أراك بخير كل مساء.

كانت أمنيتي البسيطة ألا يزورنا الغياب،

ألا نصل يومًا إلى حدود تمنع لقاؤنا،

ألا يمرّ وقتٌ أراكَ فيه فأضطرُّ آسفةً أن أشيحَ بنظري عنك.

و ها أنا ذا افعلها مكرهه!!

كنتَ الأمان الذي يسكنني،

وكان خوفي الوحيد أن يُنتزع الأمان وتُنتزع معه أنت!

والآن ...أشعر أنني أتنفّس الغرق،

أمثلُ القوة، لكنّ الدمع يفضحني في المآقي،

أبدو صامدة، بينما تنهارُ في داخلي آلافُ المواجع.

مؤلمٌ أن ينهار كلُّ ما بيننا على سوء إدراك

لم نفهم انفسنا !من فسر للغير حالهم

عجز عن تفسير نفسه !

ما قتلني

أنك بنيت الرحيل على قرار سليم، لكني ارفضه !

بغير وعي و بكل إدراك !

أن تغادر دون أن تلتفتَ،

وكأنّ ما كان بيننا لم يكن يومًا وطنًا.

كنتَ ثقتي حين خذلني العالم،

ملاذي حين ضاقَ الكون،

كنتَ الكفّةَ التي ترجّح كلَّ شيءٍ في حياتي،

كنتَ العالمَ كلّه، والباقي لا يُذكَر.

فكيف لم تُدرك أنّ شيئًا انكسر؟

كيف لم تشعر أن رحيلك أوجعني أكثر من أي فراق؟

حسنًا...

دعنا نتركَ كلَّ ما كان.

تخيّل لو جلسنا معًا الآن،

نُلقي كلَّ الكلام، نضحك وسطَ وجعِنا،

نَعِدُ بعضَنا أن تكون هذه آخرَ المرات،

ونلعنُ البُعد كما يلعن العاشقُ الغياب.

أعترف لك،

كنتَ المقصودَ بكلِّ ما كتبت،

وكلُّ حروفي كانت طريقًا إليك.

وها أنا الآن ...أصفُ ندباتي،

وأنتَ تمسحُها بنظرةٍ وتقول:

"روحكِ لا تُشوَّه، إنها كالفراشات ...لا تترك إلا أثرًا من اللطف".

لكنني أعلم...

أنها مجرّدُ أحلامٍ لن تكتمل،

وأن قمركَ غابَ عن سمائي.

اتفقنا على ذلك ، و وعدنا انفسنا ألا نتراجع.

لذا ...لم أعد أطلب شيئًا،

فقط لأجلي، كُن بخير.

عن الصمت

الصمت ليس ضعفًا،

بل هو الوعي الكامل حين تكتفي.

أن تصمت لأنّك أدركت أنّ الكلمة لم تعد تنفع،

وأن تفهم أنّ بعض الإجابات لا تأتي

إلّا حين تتوقّف عن السؤال.

في الصمت تنضج الأرواح،

ويُشفى القلب من ضجيج نفسه،

وتتعلم أن تسمع ما وراء الصوت،

أن تفهم الحضور في الغياب،

والحياة في السكون.

هنا جاء الصمت

لغةُ ما بعد اللغة.

حين يستوي القلبُ على سكينته،

تغدو الحروفُ زائدةً عن الحاجة،

ويكفي أن يلتفتَ المرءُ إلى داخله ليرى كلَّ ما كان يفتّشُ عنه خارجه.

الصمتُ ليس استسلامًا؛ إنّه شجاعةُ من يضعُ الألمَ في مكانه الصحيح.

وفيه نعرفُ من يبقى بلا ضجيج، ومن يلوّحُ ثم يمضي بلا أثر.

وحين نتعلّم الإصغاءَ إليه، نصيرُ أكثرَ قدرةً على قولِ ما يلزم، فقط حين يلزم.

عن الكاتبة

كاتبةٌ آمنت بأن في الصمت ما يكفي من ضجيجٍ ليحاكي العالم،

وأنّ ما لا يُقال أحيانًا أعمق مما يُقال،

تكتبُ لتنجو، وتصمتُ لتفهم،

وترى في كل وجعٍ جمالًا يعلّمها كيف تحبّ الحياة بصورتها الأكثر صدقًا.

اقتباس الختام

ما بيني وبينك مسافة من نبضٍ لا تُقاس،

غيابٌ يملؤه الحضور، وصمتٌ لا يعرف النسيان.

كلّ شيءٍ فيَّ ما زال لك:

عيني حين تبحث عن وجهك بين الوجوه،

وصمتي حين يتهجّى اسمك في الخفاء،

وأحلامي التي تتأخر عن النوم ...بانتظارك.

ستبقى خاتمة قلبي بلا نهاية،

بكلّ وجعٍ جميلٍ لا يُشفى،

وبكلّ حلمٍ لا يزول،

ويقينٍ لا يهتزّ أن لقاءنا — ذات يومٍ — آتٍ.

سأخفيك في قلبي كما تُخفى الأسرارُ التي لا تموت،

وأتظاهر أنني بخير،

حتى تمرَّ الأيام...

لعلّي يومًا أكون

كما كنتُ معك، وكما أردتُ أن أكون.

"وفي النهاية، لم يكن الصمتُ سكونًا، بل لغةً بيني وبين نفسي"